

# سورية الجديدة

كتاب الى أصدقاء الأمم الصغيرة

بقلم

« أنز لبنان »

الامكنة  
مطبعة التقدم لصاحبها محمد توفيق  
مارس ١٩١٩





سورية الجديدة



# سورية الجديدة

كتاب الى أصدقاء الامم الصغيرة

بقلم

« أرز لبنان »

---

الاسكندرية  
مطبعة التقدم لصاحبها محمد توفيق  
مارس ١٩١٩



أهدي هذه الرسالة الى الحزب السوري المعتدل العامل تحت  
رئاسة صاحب السعادة خليل باشا خياط في الإسكندرية ، فانه أظهر  
من الغيرة الوطنية ما يستوجب كل ثناء ، ووضع مصلحة البلاد العامة  
فوق كل مصلحة .

« أرض لبنانه »

الإسكندرية — مارس سنة ١٩١٩





## فهرس

### القسم الاول

صفحة	بيان
٨ — ١	١ سورية في هوجاء الحرب العامة ..
١٢ — ٦	٢ مميزات سورية ..
٢٤ — ١٣	٣ ما لنا وما علينا ..
٣٣ — ٢٥	٤ مسألة الطوائف والمذاهب ..
٣٨ — ٣٤	٥ الحركة الوطنية والقلقة اتتمصلية ..

### القسم الثاني

٥١ — ٣٦	١ بلاغ من الحكومتين البريطانية والفرنسوية
٦١ — ٥٢	٢ سورية وفرنسا ..
٦٨ — ٦٢	٣ حقائق جوهرية لا بد من تفهمها ..
٧٤ — ٦٩	٤ الفصل في قضية سورية ..
٧٩ — ٧٥	٥ سورية للسوريين ..







## بيان

### كلمة لبنانية

اذا ذكرت سورية في بحث من الابحاث فذكرها يوجه فكر كل لبناني أولاً الى ذلك الجبل الخالد المجد ، الوافر الحرية ، منبت الارز ، وبحري الانهار والجداول والينابيع ، الذي أغدقت عليه الطبيعة صفاءها ، ووهبت من اعتدال الهواء ما يسمح بنماء الجوز والنخل معاً بين أعاليه وسواحلها ، فهو في سورية طبيعياً ، بمثابة انسان العين أو سويداء القلب ، واجتماعياً وسياسياً ، بمقام امام الجماعة ، أو ذؤابة القوم ، اورئيس الحزب ، وهذا سر تمسكه بامتيازاته الزمنية وتقاليده التاريخية ، وسر ولع أهله به .

ان هذه الحرب التي قلبت كيان العالم قضت باخراج تركيا من الشرق العربي كله بعد أن حكته بضعة قرون وقد قامت شعوب هذا الشرق تطالب بالاستقلال القومي ، ونهضت سورية تطالب الوقوف وحدها بين الأمم الخرة ، فخاف لبنان أن تسفر هذه الثورة الكونية عن تجريده من مميزاته القديمة فقام يقول — « وأنا أيضاً أقف وحدي ولا احتاج الى أحد ، حتى الولايات السورية التي تلتصق بي من كل جانب أتركها اذا كانت التدابير الجديدة تنقذني امتيازاتي ومفاخري التي قضيت الدهر في جمعها وادخارها لابنائي



وأريد أن أكون حراً كما كنت من قديم الزمان ، وهذا سر قيام جمعياتنا اللبنانية الحرة وفي مقدمتها جمعية الاتحاد اللبناني وهي من أنبلها غرضاً ومن أصحها نظاماً .

والآن اقضى دور الثورة الحربية وما يتبعها من الهدم والقتل والقطع . وجاء دور التجديد والانشاء واقامة كل نظام جديد واعادة الحياة العمومية الى مجاريها الطبيعية مع المحافظة على آميال الشعوب ومطالبها القومية العامة . وقد رأينا بين ما رأيناه من مدهس النتائج الجديدة لهذه الحرب العديدة النظيراتفاق قادة العالم على انشاء جمعية الأمم تكون بمثابة « دولة الدول » أو « قاضي القضاة » ولا شك بان وجود مثل هذه القوة العادلة في الكون ينفي المخاوف القومية ويمنع اعتداء القوي على الضعيف من الوجهة الدولية في مستقبل الزمان .

ورأينا بين نظمات العالم نظاماً يميز للبلد الواحد في البر الواحد الاستقلال بشؤونه السياسية والاجتماعية الى ابد مدي مع بقائه متصلاً بجيرانه من اجزاء ذلك البر بصلات النظام العام على طريقة اتباعها بعض أمم الغرب فكانت سبب سعادة تلك الامم وارتقائها ، ولم نجربها نحن حتى الآن ولكننا نحاول تجربتها والاستفادة منها .

فكان من مصلحة لبنان بعد رؤية هذه الضمانات العظيمة أنه يحتفظ بمركزه اللبناني ويظل متحداً مع أجزاء سورية التي هو في الواقع جبلها الاعلى .

ومن مزايا هذا النوع من الاتحاد انه يعطي لبنان الصخري



الحق في جاب غلاله من حوران ومواشيه من الشام ويمكنه من استخراج المعادن من أقاليم فلسطين والخيبرات من أرض الكرك والباط، فضلاً عن اجتناء ممش الشام وتفتح الزبداني وفستق حلب، ويفتح امام رجاله المتعلمين المرتبين أبواب الوظائف في كل تلك الأقاليم، وامام صناعه وعماله المجتهدين أبواب الرزق في طول البلاد وعرضها فلا يعودون يضطرون الى المهجرة أفواجاً الى أميركا وأفريقيا وأقاصي الشرق والغرب .

ويقدم لبنان لجيرانه وأبناء الخثولة والاعمام من اهل تلك الولايات بدلاً من هذه المنافع ماء عذباً وهواء نقياً منشطاً ومناخاً طيباً وصحة عظيمة . فثله . من هذا القبيل ، مع شركائه في هذه الشركة السورية مثل الاعرابي والحضري الذين أرادوا الاشتراك في طبخ الفاوذج ، وكان الخبير بطبخه الاعرابي ، فسأله الحضري : ماذا يقدم كل منا من أجزاء الطبخة ؟ فأنشد البيت الاتي مفتخاً فيه لفظ ما يقدمه هو ومخفئاً لفظ ما يطلب من شريكه تقديمه قائلا :

منك الدقيق وعني النار اضرمها

والماء عني ومنك السمن والعسل .

والذين يقولون انه يخشى من الاكثرية في سورية ان تضغط على اهل لبنان يخطئون خطأ عظيماً لا مبرر له ، فان لبنان اذا نهض حسب نظام الاتحاد العام يكون هو القوة العاملة في سورية كلها ويحق لابناء الشام وحوران وحلب - ولا أقول فلسطين - ان يخافوا من شدة نفوذه لان لكل بلد مزايا خاصة يمتاز بها ومن مزايا لبنان انه



يخرج رجال سياسة وخبراء اختصاصيين وموظفين اكفاء وكتابا  
ومترجمين يشهد لهم بطول الباع في التحرير والتعبير . أولا ترى انه  
لم تصكد الحكومة العربية الجديدة تفتح باب دارها حتى هرع  
البنانيون الى مقاعد الحكم والسلطة فيها ؟ اسأل الان من هم موظفو  
القضاء والادارة ومن هم المترجمون والمنظمون وأطباء الصحة في حكومة  
سورية الجديدة نجد ان اكثرهم من اهل لبنان . والذين يتقدمون  
الان لا يتأخرون غداً . ان لبنان ليسعد ان شاء الله بسورية كما  
تسعد سورية بلبنان فالى هذا الاتحاد الوطني الجديد ايها المواطنون  
الكرام .

\* \* \*

### كلمة عن هذه الرسالة

ان كاتب هذه السطور كتب هذه الرسالة أولاً باللغة الانكليزية  
— على ما به من المعجز والضعف — اذ رأى الحاجة ماسة الى ذلك .  
وقد طبعت بالانكليزية على حدة في الشهر الماضي والان تظهر معربة  
كما ترى . ويجب ان اؤكد لكل واطن كريم اني كتبت كل كلمة  
مدفوعاً بعامل الوطنية المحضة .

### بيان الرسالة الانكليزية

« قد يعد تطاولا مني بصفتي لبنانيا . ان اُشر هذا الكتيب باللغة  
الانكليزية . غير ان لي عذراً يشفع هو ان هذه الرسالة ليست سوى  
التماس مقدم « الى اصدقاء الامم الصغيرة » يوضح مطلباً حيوياً .



وغرضي من الكتابة هو ان ابسط لأبناء الديموقراطيتين  
العظمتين الناطقتين بالانكليزية ، اللتين تحكمان وتسوسان  
خمسماية مليون من بني البشر ، بياناً عن الحالة السياسية في سورية  
• بلقتهم التي ألفها الشرق الأدنى كثيراً منذ أكثر من نصف قرن من  
الزمن ، بقصد ايضاح مطالب وطننا الحقيقية للدوائر الرسمية الحرة  
في اوربا واميركا ورجاء استمالة الرأي العام اليها •

اقد صار الدفاع العلني في هذه القضية من الزم الامور بعد ان  
كثرت مساعي الساعين فيها لغايات معينة ، ووفر ما سال من اقلام كتاب  
السياسة الباحثين في المسألة السورية من جهة واحدة بطرق غريبة  
منظمة لخدمة مآرب مخصوصة لا تتفق مع أمانينا الوطنية العامة •

ان كل سوري صميم ليعتبط في هذا الوقت الذي تخرج فيه  
سورية من حكم الظلم والاستبداد ، بان يرى سلطان القوة مهزوماً  
شر هزيمة وان يشهد ذلك حصونه القديمة — السياسة السرية ،  
والدسائس السياسية ، ووضع مختلف الاساليب والصيغ الرسمية  
لتعريف « الحق » متى طلبه القوي وتحديد متى طلبه الضعيف —  
لانه اذا أزيلت هذه الحوائل والعوائق من طريق الشعوب الناهضة فإن  
سورية تزدهر وتسمو وترقي في العصر الجديد وتصبح عضواً نافعاً في  
عائلة الامم المتقدمة في العالم •

اذا كانت جمعية الامم — وهي أسمى مشروع انشيء لترقية  
نظام العالم منذ الخليقة — تحقق أماناً سورية الجديدة وتختار لها  
دولة كبرى خالية من الأغراض تشد أزرها الى أن يصير في



استطاعتها أن تقف وحدها بين الأمم الحرة . فان هذه البلاد  
تقوم بحمل كبير من الواجبات الدولية في الشرق وتخدم المدنية  
العصرية أجل خدمة فيه ، ثم انها فوق ذلك تزيل كل خوف من  
تجدد المسألة الشرقية بشكل جديد .

ان كاتب هذه الرسالة الواقف على دخائل السياسة السورية  
الأهلية وقوف من يرى ويسمع ويهتم ويلبس الحوادث في مواقعها  
يقسم هذه الفرصة ليظهر لأصدقاء الأمم الصغيرة في اوربا وأميركا،  
الذين يهتمون كل الاهتمام باقاز سلام العالم من أخطار المستقبل  
وشرور الحوادث التي في ضمير الغيب — انه اذا لم يسمح لسورية  
بالاحتفاظ بوحدها ، واذا لم تنتدب دولة لا مطمع لها لتنظيم الحكم  
الجديد فيها ، فان الحالة التي لا بد من وجودها حينئذ تتطور فتصير  
مشكلة دولية خطيرة . »

♦ ♦ ♦



# سورية الجديدة

## القسم الاول

### ١

#### سورية في هوجاء الحرب العامة

لا ريب في أن هذه الحرب العظمى — حرب الامم — العديمة النظير التي شبت في ٤ أغسطس سنة ١٩١٤ وانتهت في ١١ نوفمبر سنة ١٩١٨ من شأنها أن تبرز وقوع أي انقلاب سياسي وأي تغيير دولي في كل بلاد اشتركت فيها كثيراً أو قليلاً أو وقعت تحت تأثيرها بشكل من الاشكال . وغرضنا الآن أن نبحث في ما فعلته هذه الحرب في البلاد الواقعة شرقي البحر المتوسط من بلدان السلطنة العثمانية .

لما قامت ايطاليا في سنة ١٩١١ تضرب الترك في طرابلس الغرب وتخرجهم منها هال الامر الكاتب السياسي القدير المرحوم

وليم ستيد صاحب د مجلة المجلات ، الشيرة فلم يطق حملتها وقال  
أن وزراء الخارجية في أوروبا أصدوا بمس من الجنون واقترح  
أن تؤلف لجنة من الاطباء لفحص أدمغتهم . ولما أزالتمسما  
ظل السيادة التركية عن البوسنة والهرسك على أثر وقوع ثورة  
الدستور العثماني في سنة ١٩٠٨ عطف العالم المتمدن على  
أحرار الترك وقبض هؤلاء مليونين من النمسا ثمناً لتخليهم عن تينك  
الولايتين لها .

أما الآن فقد اختلفت الحال اختلافاً كلياً ، فإن تركيا أضاعت  
كما هو ظاهر وادي الفرات ووادي الدجلة وأرض الحجاز المقدسة  
وأرض فلسطين المقدسة وأرض سورية الفينيقية وكل بلاد العرب ،  
ومع ذلك قالت دوائر السياسة وصحف العالمين لا ترى في كل  
ذلك ظلاماً يقع على تركيا المتتورة الاعضاء . وأهم الاسباب التي يراها  
الساسة كافية لفصل هذه الاراضي الواسعة سبيان :

الاول - أن تركيا أقدمت بلا موجب على المقامرة باملاكها تحت  
نفوذ المانيا .

والثاني - أن البلدان المتقدم ذكرها نقطتها عناصر غير تركية تتوق  
منذ أجيال الى الحرية .

ومن الناس من يقول فوق ذلك انه خير لتركيا ان تفرغ وسعها  
في . بيل ترقية ولاياتها التركية من أن تظل باسطة ساطتها على عناصر  
متدمرة مثل الارمن والعرب ومن شاكاهم .

ولا شك بان السبين الاولين مسندان الى أصل صحيح .



ثم أن التصفية العامة الجارية الآن في العالم تميز بنجربة عظائم الامور .  
فالشعوب التي هاجها الانقلاب الجديد طفقت تشيد بذكر أمجادها  
القديمة وتعرض مطالبها التاريخية ملتزمة حياة سياسية جديدة أو دأما كن  
تحت الشمس ، كما يقال في عرف السياميين .

لم يكن في اللبس أحد يتصور ولو في الحلم ان روسيا والنمسا  
والجر يخرج منها ما استقل من الدول والحكومات الجديدة ولكن  
الحقائق لا تدع مجالاً للخيالات . ويظهر ان حوادث الزمن الحاضر  
استفزت روح الديمقراطية في العالم فانبثت لتحقيق أماني كل شعب  
مخفوض الجناح ولمنع القوة من التغلب على الحق . فاذا تحققت الوعود  
المزهرة التي وردت في ما ألقاه الدكتور ولسن رئيس الولايات المتحدة  
من الخطاب الرسمية فان التاريخ يسجل للعالم الجديد ، أثرة تحرير  
الامم الصغيرة كما سجل لاوروبا في القرن الثامن عشر ، أثرة منع الرق  
وابطال تجارة الرقيق .

أن هذه العملية الضخمة التي أجريت على جسم الكون جاءت  
لكل أمة من الامم بما قد تنوء بحمله من أعمال التجديد والانشاء  
وأوجدت في الشرق الأدنى ولا سيما في البلدان العثمانية من هذا  
الشرق مسائل معقدة في غاية الخطورة . وما سورية الا من تلك  
البلدان ومسألها من أشد المسائل تعقداً .

حررت سورية من مظالم الترك بقوة جيش الجنرال اللبي وهذا  
مما يصرف الفكر للوهلة الاولى الى ان حكومة الجنرال اللبي هي  
التي تتولى ادارة شؤون البلاد المحررة حديثاً — من جبال طوروس

شمالا الى رفح في الجنوب — لان سورية هي عبارة عن هذه البلاد الواقعة بين الاناضول ومصر قائمة بارزة الصدر — وصدرها لبنان — في مقدمة بلدان آسيا تفاخر البحر المتوسط بان طولها هو طول ساحله الشرقي . ولكن سورية الغاتنة لها من العشاق اكثر من واحد ، فينما نرى « جون بل » يلقي نظرات ذات بال علي فلسطين ويرفع بصره الي الشمال ، نرى حليفه الباسل فتي السنين يحاول تطويق خصمرها بذراعيه ، ونرى البطل العربي مقبلا من الصحراء لتقيل محباها الاموي الجميل .

هذا وأمركا التي كان لها الفضل العظيم في تعليم سورية نحواً من قرن من الزمن والتي أرسلت اليها من رجالها مثل أولئك المربين المصلحين الدكتور فاندريك والدكتور ايلي سميث والمستر سيمون كلهون والدكتور دانيال باس والدكتور هنري جصب والمستر وليم برد وغيرهم لترقية المدنية المصرية في ديارها — تنظر بعطف عظيم الى تلميذتها الواقعة موقفاً حرجاً في الحالة الحاضرة .

وقد خصت أميركا سورية بكثير من المكارم في كل آن ولا سيما في السنوات الاربع الاخيرة . فانها هي التي أرسلت اليها علي أثر شوبوب الحرب سفينتين حرييتين من سقنها لثقل المهاجرين والمضنوكين من أهلها الي مصر ولم تكف عن هذه الخدمة الانسانية النبيلة حتى أوصد الترك أبواب سورية في وجه العالم . غير ان ذلك لم ينسها سورية فانها اوفدت اليها لجنة من جمعية الصليب الاحمر لاسعاف المنكوبين وانغاثة المرضى والمحتاجين من ابنائها وفتحت لذلك



اكتاباً اظهرت فيه عظيم السخاء .

فهذه المحامد والمكارم التي آتاهها ذلك الرجل العظيم ذؤابة  
العالم الجديد — الم سام — مع ما قرن بها من نبل سياسته العامة وقيامه  
مع الحق خصماً للقوة ووقوفه بجانب الأمم الصغيرة أفعمت قلب  
سورية اعجاباً وادخلت حاسة الطمأنينة على قلبها المهموم ، فقد وقفت  
في وسط عجاج العاصفة التي حطمت السفينة التركية في الشرق تجميل  
نظرها فيما حولها خائفة مذعورة لماها ترى معيناً يسير بها الي ساحل  
السلامة فأبصرته مقبلاً يمد يد المساعدة اليها ورأت انه رجل يعيش  
ليخدم البشرية ويجعل الحياة تستحق عناء الوجود :

اذا كنت تحيا لنفع الورى	وتهدي السبيل برأى سديد
وتفعل فعل كبار النفوس	لترفع نفس الضعيف المسود
فأنت تعزز شأن الحياه	وأنت تفسر معنى الوجود (١)

---

(١) أصل هذه الأبيات للشاعر الانكليزي تومسون وقد استخدمها  
كاتب هذه الرسالة في النسخة الانكليزية وعربها هنا بقلمه .

## ٢

### مميزات سورية

أن سورية في الحقيقة لم تحب التركي اذ كان غريباً عنها وكثير الدسائس فيها . فلقد فرق بين ابنائها واضطهد مبادئها وداس حقوقها . وكلما كانت تحاول ان ترفع شأن حضارتها كان هو يقيم الحوائل في سبيلها . ولولا ما لسورية من المزايا الخصوصية التي أسبغتها عليها الطبيعة وصانها التقاليد ولولا اعمال المرسلين ومجهوداتهم فيها لكانت الآن متأخرة في ميدان الحضارة كأكثر أقسام الاناضول وبلاد العرب وما بين النهرين وغيرها من بلدان السلطنة العثمانية المتسعة الاطراف التي عاشت أجيالاً تحت سيطرة الترك ونفوذهم الوحيد .

أما المميزات انشار اليها فهي هذه :

اولا — وجود جبل لبنان قائماً في وسط البلاد عالي الذرى يناطح السحاب تياهاً بارزه الخالد المجد الناشر ظله — ظل الحرية الوارف — علي ارجاء تلك الرابي . وغني عن البيان ان لبنان تمتع بالاستقلال الداخلي منذ القدم وكان على الدوام ينبوع الفخر الوطني والكرامة الذاتية في سورية .

وقد نال في سنة ١٨٦٠ معاهدة دولية تؤيد مركزه . وهذا المركز الممتاز شجع أهالي البلاد على تحسين الاحوال وعلى الاحتكاك بالاوربيين والاميركيين وادخال الاصلاح



الى البلاد واقتباس نظام التعليم العصري وكان لهم من حسن أخلاقهم ما ساعدهم مساعدة عظيمة على السير في طريق النجاح والفلاح .

ثانياً — وجود مدينة القدس الشريف في فلسطين . فان هذه المدينة المقدسة تجتذب اليها الحجاج والسياح والزائرين من كل قطر في العالم . وهذه المزية أتت لسورية بركات كثيرة ومنافع جمة .

ثالثاً — مهاجرة اللبنانيين وغيرهم من أبناء سورية الى مصر وأميركا وأستراليا وجنوبي افريقيا وغيرها من الاقطار . فان هذه المهاجرة جلبت الى البلاد كثيراً من الافكار والمباني الديمقراطية الحديثة .

رابعاً — سلامة أخلاق الشعب بوجه عام من الانحطاط وذكاءه واجتهاده العظيم .

ان المرسلين الاميركان أحدثوا في سورية ولبنان نهضة عصرية جليلة . ولا حاجة الى تفصيل ما أسدي الى البلاد من الجليل بفعل هؤلاء المصالحين الاقياء ، لاني أعلم ان متبقي تطورات العمران قدموا للشعوب الناطقة بالانكليزية كتباً عديدة ومؤلفات ضخمة تشرح ما قام به المرسلون من الاعمال العظيمة والخدم الجليلة للعالم والحضارة بنشر المعارف وبث نور المدنية في جميع انحاء البلاد .

فان أول مرسل اميركي نزل في سورية في شهر فبراير سنة ١٨٢١

بقصد تأسيس وكالة للارسالية فيها • وأول بناء أنشيء لتعليم البنات في البلاد شيده الاميركان في بيروت سنة ١٨٣٥ •

وقد بدأت مدارس الاميركان بالعمل في سورية قبل أن توجد الحكومة العثمانية نظاماً رسمياً للمدارس بنحو ٢٠ سنة لان الحكومة لم تسن ذلك النظام وتوجد مشروعاً للتعليم الاميري الا في سنة ١٨٦٩ •

وكان انشاء المطبعة الاميركانية في بيروت فائحة عصر جديد لنشر المعارف والعلوم والآداب العربية • ويستفاد مما كتبه الدكتور هنري جصب في كتابه المسمى « ثلاث وخمسون سنة في سورية » الذي طبع سنة ١٩١٠ — ان مطبعة الاميركان في تلك المدينة الزاهرة طبعت حتى تلك السنة نحواً من ٧٠٠٠٠٠٠٠٠٠ من الصفحات من جميع انواع المطبوعات • ومما قلّه انها كانت سبباً لتحريك الهمم وانشاء مطابع عديدة جديدة في بيروت وجهات أخرى من سورية وكانت نتيجة ذلك ان ملئت البلاد بالصحف والمجلات وتيقظ الناس لحياة أدبية جديدة •

وفي سنة ١٨٦٠ حذا المرسلون الانكليز حذو الاميركان ففتحوا المدارس في فلسطين وبعض مقاطعات لبنان وتبعهم في نفس السنة الالمان والجزويت الفرنسيون وغيرهم •

جاء كل هؤلاء الناس لتأسيس معاهد العلم والمستشفيات والملاجيء وغير ذلك من المنشآت الحديثة فقام أهل البلاد يفعلون فعلهم مقتفين آثارهم لا قلاً ونسخاً فقط بل احداثاً وانشاء فأحدثوا في البلاد كثيراً من ضروب الاصلاح من الوجهتين العلمية والاجتماعية •



من ذلك ان المرحوم العلامة بطرس البستاني ، الذي استعين به في مهمة ترجمة التوراة الى اللغة العربية بإدارة الدكتور ايلي سمث بلاشترالك مع الدكتور قاند يك الكبير من سنة ١٨٤٨ الى سنة ١٨٦٥ ، نهض وحده بعد ذلك بمشروع جليل هو تأليف قاموس عربي يوافق النهضة ، وقد ألف « محيط المحيط » في مجلدين كبيرين . ثم أقدم علي شغل أعظم من ذلك وهو تأليف دائرة معارف باللغة العربية ولم يكن للعربية شيء يقال له « انسكاويذية » ، فخرج للناطقين بالضاد ثمانية مجلدات كبيرة من « دائرته » ، ثم مات تاركاً اتمام ذلك العمل العظيم لابناء عائلته العلماء فقاموا بعده بوضع ثلاثة مجلدات أخرى من الانسكاويذية ، وأخرجها المجلد الحادي عشر أنه العلامة سليمان افندي البستاني ناظم اليازة هو يروس بالعربية ( احد أعضاء مجلس الاعيان العثماني ومن الوزراء العثمانيين السابقين )

وبالاجمال يقال انه منذ وضع الاميركان حجر الزاوية في بناء نظام التعليم الحديث في سورية خطت البلاد خطوات واسعة في سبيل المدنية الراقية رافعة نفسها الى مقام تفاخر به بلاد الترك الاصلية لان النهضة الادبية جاءت بطبيعة الحال باسباب النجاح اجتماعياً وتجارياً وصناعياً . وجدير بالذكر في هذا الصدد ان مدينة بيروت كانت في سنة ١٨٢٥ ، يوم دخلها أول المرسلين الاميركان ، عبارة عن مدينة صغيرة تشغل مساحة ٣٠٠٠ قدم من الشمال الى الجنوب و ١٥٠٠ قدم من الشرق الى الغرب ممتدة نحواً من خمسة أميال من قاعدة لبنان الى

البحر وقد أخذت من ذلك الحين في النمو والارتقاء حتى كبرت وصارت أجمل ثغر في الشطر الشرقي من ساحل البحر المتوسط ومن أوفر ثغور هذا البحر نجاحاً وصار عدد سكانها نحواً من ٢٠٠ ألف .

وقبل هذه الیقظة الحديثة لم يكن أهل سورية ولبنان يهاجرون من بلادهم الى بلدان بعيدة الا نادراً . وكانت توجد في لبنان في ذلك الوقت أغنية عامية يقال في أولها : زوجك يا مليحة راح للشام وحده ، وهي تدل على انه كان من المخاطرة ان يذهب المرء وحده من لبنان الى دمشق الشام ، ولكن الحالة تغيرت كل التغير منذ سنة ١٨٧٦ اذ طفق السوريون يسافرون الى جميع الجهات ويمتازون البحار الى أقصى أطراف الارض فاتقن أجدادهم الفينيقيين من هذا القيل .

درست سورية أطوار الحياة في مختلف الامصار والبلدان وحيث كانت شديدة الرغبة بالارتفاع من استعدادها الطبيعي للنجاح أرسلت الالوف من أبناءها الى البلدان الأجنبية ليشغلوا في احوال أكثر مناسبة لهم ونحت احكام افضل من احكام بلادهم ، وذلك لانه كان عسيراً جداً بل كان في غالب الاحيان مستحيلاً على ذوي الجد والعمل من ابناء البلاد الناهضين ان يجدوا مجالاً متنوعاً في الوطن لاستخدام قوى الابتكار الكامنة فيهم تحت حكم حكومة جامدة يمثلها في اماكن كثيرة موظفون مرتشون ممن لا يهمهم امر سورية ولا يكثرثون بضرورة ادخال الاصلاح اليها ،



وذلك لانه من جهة لم يكن لدى الحكومة من المال ما تستطيع توفيره للقيام بمشاريع الاصلاح ولان الحكومة كانت ترى على الدوام مهمة بكل المشاكل السياسية بين داخلية وخارجية فلم يكن عندها من الوقت ما يمكنها من توجيه عناية خصوصية لاجراء الاصلاح . وقد بعثت سورية الى مصر عدداً كبيراً من الرجال المتعلمين من صحافيين وكتاب ورجال طباعة واطباء ومحامين ومترجمين ومكتبة حسابات فرجت بهم مصر ، وخصوصاً في دوائر الحكومة فيها وفي السودان منذ بدء الاحتلال البريطاني في سنة ١٨٨٢ ، وأرسلت نجار « كومسيون » الى المراكز التجارية في اوربا وكثيراً من العمال وصغار التجار الى أميركا ، والتجار السائحين الى اليابان والصين وانحاء اخرى من بلدان الشرق الاقصى ، وارسلت رجال سياسة ووظائف الى الاستانة ومستثمرين الى بعض الاقاليم الغير المتمدة من افريقيا .

وهذه المهاجرة الكثيرة من سورية اكسبت البلاد ، وازدادت اقتصادية جديدة وقوى اجتماعية وعقلية ذات شأن ، اذ صار السوري يقضي السنين الطوال بين اناس بالعين اعلى درجات العمران والمدنية محتكاً بهم ، يتعامل معهم ، ثم يرجع الى وطنه حاملاً من بلادهم كثيراً من المحسنات الاجتماعية والمبادي الديمقراطية السامية والمعدات الجديدة ، والوف من الفلاحين والعمال ذهبوا الى أميركا بحالة الامية ثم عادوا الى الوطن متعلمين مهذبين . والامر الوحيد الذي امتنعى على السوريين فلم يستطيعوا اجراءه تحت حكم السلطنة العثمانية هو الاصلاح

السياسي — ان ذلك كان من المستحيلات وظال كذلك الى ان ذهبت  
قوات الحلفاء فحطمت الهيكل السياسي التركي تحطياً لا يقوم له قائمة  
بعده فكان ذلك سبب غبطة العرب الذين طالما تاقوا لنهضة سياسية  
تتفق مع شرفهم الوطني ومركزهم الاجتماعي .



### ٣

#### ما لنا وما علينا

أن ورودنا القومية ليست بدون اشواك بل يجب ان قول اعترافا بالحقيقة انها كثيرة الاشواك . ان سكان سورية ، ولبنان من اجزائها الرئيسية ، ينتمون الى اصل واحد فالكل عرب سوريون . غير أنهم لم يتمتعوا منذ عصور بالوحدة القومية . وحدة في تركيا ؟ امر مستحيل . لقد كان محظورا في عهد عبد الحميد كل شيء يمكن أن يؤدي الى توحيد العمل وضم القوى حتى تأليف الشركات التجارية .

فقرى الوطنية التي ترتبط بها عناصر الامة ارتخت في سورية مع مرور الزمن وانفصمت في بعض الحالات بالكلية تحت حكم الترك . وذلك يرجع الى الاسباب الآتية :

١ — كان الترك يعولون في حكمهم علي قاعدة « فرق تسد » فلم يكن في استطاعة سورية المتعددة الطوائف ان تتضامن وتتآلف تحت ذلك الحكم .

٢ — عدم وجود نظام للتعليم العام في تركيا ، ونظام المعارف الذي كانت تتبعه الحكومة العثمانية كان جنسياً اكثر منه عمومياً . وسورية لم تنل منه فائدة تستحق الذكر فانها مع كثرة المدارس الاميركية والاوروية فيها للتعليم الراقى لم يمكن بوجود فيها من

المدارس التركية غير معاهد قليلة العدد في دمشق الشام ومدينة بيروت وحلب الشهباء ولم تكن في لبنان مدرسة واحدة عثمانية .

ومعلوم ان الارساليات الاميركية والاوروبية انما انشأت المدارس في المدن والمقاطعات التي رأت فيها مجالاً حسناً لانجاح الاغراض الرئيسية التي جاءت الى البلاد من اجلها ولم يكن الترك ينشئون مدارس حيث الناس في حاجة الى المدارس ، وكانت النتيجة ان جهات معينة في سورية امتلأت بمعاهد العلم وموارد العرفان ووظات جهات اخرى منها بدون مدارس بالكلية . في بيروت ولبنان مثلاً تكثر فيهما المدارس الحديثة ولا سيما مدينة بيروت فانها دار علم وتعليم ، وامكن المقاطعات الريفية من ولاية الشام كالقنيطرة والجاذور ليس فيها شيء من هذه المعاهد . ثم انه توجد وراء حوران براري واسعة تقطنها قبائل عظيمة من العرب الرحل الذين يعيشون في المضارب عيشة بدوية محضة كما كان يعيش أهل البادية في القرون الوسطى بعيدين عن كل سلطة رسمية .

فمدارس المرسلين الاميركان والانكليز والفرنسيين والالمان والروس والطلليان مع ما حذا حذوها من المعاهد الوطنية والرسمية اخرجت لقطر السوري ثماراً اجتماعية مختلفة فاذا قلنا انها نشرت العلوم والمعارف في البلاد وجب ان نقول ايضاً انها لم توجد في البلاد أمة متحدة بوجه من الوجوه .

وغني عن البيان ان المرسلين الاجانب لم يأتوا الى سورية الا لاغراض معينة فالبروتستانت منهم جاءوا مبشرين بالانجيل بقصد



نشر الانجيل بين أهلها والجزويت جاءوا يبشرون بالانجيل اللاتيني من قبل دولة لاتينية والروس جاؤا ليرعوا الكنيسة الارثوذكسية التي كان يحجبها القيصر الكبير . والايطاليون جاءوا لكي يظهروا للعالم انهم يشتركون في خدمة الانسانية في سورية .

على ان أهل البلاد مع علمهم بهذه الاغراض كانوا ينظرون بعين الالهية الى ما يقوم به أولئك المرسلون الصالحون من الاعمال المدنية مستفيدين بقدر الاستطاعة من المنافع العالية التي تصل اليهم بواسطة المدارس .

فبلاد يجري فيها التعليم المختلط متفرقاً من مصادر متعددة كما تقدم هيات ان يأتيها هذا التعليم بثمار وطنية . وهذا الاختلاط من شأنه ان يوجد تصادماً في الاراء والمبادئ اينما كان لان من يقتبس العلم في مدرسة جرمانية يقتبس افكاراً جرمانية ومبادئ جرمانية وهكذا قل عن تعلم في مدارس الانكليز ، على انه بقدر ما يكون اصحاب المدارس بعيدين عن الاغراض السياسية يكون تعليم مدارسهم أقرب الى الغاية القومية في البلاد . فمدارس الاميركان التي تجري في سورية على نظام خاص قائم على المبادئ الديمقراطية الحرة تابعة لحكومة خالية الغرض من الوجهة السياسية أخرجت رجالاً حقيقيين لسورية ولكن مدارس الجزويت مع الاعتراف بفضلها العلمي أخرجت آلات سياسية وقضت على المميزات السورية الخاصة في دائرة نفوذها قضاءً مبرماً .

قال الدكتور جصب الاميري في كتابه « ثلاث وخمسون سنة في

سورية ، مشيراً الى الحركة اللاتينية التي يراد منها اخضاع الاراضي المقدسة ما يأتي : « ان فرنسا تطرد الجزويت من فرنسا وتنق الملائين من الفرنكيات كل سنة تعضيدا لهم في تركيا حيث يكونون وكلاء . سياسيين ومعلمين وذوي دسائس » الى ان يقول « ان اللاتين موارد لا تنضب من المال والرجال والنساء . وقد قال أحد رجال الحركة اللاتينية منهم مرة انهم مأمورون بان ينشئوا المدارس في كل مكان توجد فيه مدارس يروتستانتية واذا أمكن ان قام تلك بجوار هذه فيكون ذلك أفضل لنيل الاغراض المرومة .

٣ — اختلاف العناصر والمذاهب وعدم وجود مصلح يوفق بين مختلف الفرق . وقد قال الكولونيل تشرشل في كتابه عن سورية ولبنان ما مؤداه « ان ضربة سورية الكبرى هي كثرة الطوائف وتنافر المذاهب ولا يسود السلام في تلك الديار ما لم تتآلف هذه العناصر المتنافرة بقوة التعليم العام »

٤ — نشر الدسائس السياسية ( قبل الحرب ) بين الطوائف المختلفة .

٥ — قلة وسائط المواصلات الحيوية كالبرق والتلغراف وعدم وجود التلفون قبل الحرب في جميع أرجاء سورية .

وقد كان من النتائج الطبيعية لهذه العيوب التي يجب أن تلقى تبعاتها على الترك في جوهر الامر أن أجزاء سورية اتخذت لانفسها مميزات مختلفة حسب طبائع الاقاليم فيها . فلبنان



اتبع سياسة الاعتماد على النفس في القومية محافظاً على تقاليده  
التديبة ومبتعداً عن السلطة التركية بقدر استطاعته .

وحيث أن أحرزت نوعاً من الاستقلال الداخلي السياسي بقوة  
السلاح من الحكومة العثمانية . ولم تظهر فيها روح الاستقلال في وقت  
من الاوقات أكثر مما ظهرت ونجحت في هذه الحرب حيث وقفت  
وحدها في البلاد محجمة عن الاشتراك في الحرب مع الترك وتمتعت  
بأسباب الراحة والطمأنينة بينما كانت بقية أرجاء سورية حولها تتضور  
جوعاً تحت ضغط الحكومة التركية المصطبغة بالصيغة الألمانية .

ثم أن فلسطين تشغل مركزاً ذا شأن في سورية لوجود  
المدينة المقدسة فيها مع أنها كانت في عهد النظام البائد عبارة عن  
متصرفية بسيطة من ولاية بيروت .

وليتا الشام وحلب من سورية عاشتا أجيالاً طوالاً تحت  
نفوذ الخلافة وكان الاهالي فيها يفضلون ان تكون لهم حكومة  
عربية غير انهم لم يكونوا يريدون ان يزعموا حكومة الخليفة ولكنهم  
بعد ثورة الدستور العثماني في سنة ١٩٠٨ مالوا الى تعضيد سياسة  
اللامركزية .

ومما قيل في الاختلافات السياسية الناشئة بين العناصر السورية  
تحت حكم « فرق تسد » فإن أجزاء البلاد المتقدم ذكرها لم  
تجزئ في زمن من الازمان مصالحها المشتركة من الوجهتين الاجتماعية  
والاقتصادية . فان أبناء الطوائف المختلفة من سكان سورية لم  
اخوان في كل أقاليم البلاد ، فأهل فلسطين مثلاً لم أقارب من

عائلاتهم في لبنان وهوران والشام وحلب . ولغة البلاد واحدة وطبيعة الارض واحدة تخرج محاصيل قطر واحد والمواصلات بين شمالي سورية وجنوبي سورية حيوية مثل المواصلات بين الوجهين البحري والقبلي في امطر المصري .

أن لبنان يتناول ٨٠ في المئة من غلاله من حوران والجاذور ، وهوران تتناول بضائعها من دمشق وبيروت ، وبيروت تعول في تجارتها النامية على داخلية سورية ولا يطبق اقليم من اقليم البلاد الانفصال اقتصادياً واجتماعياً عن الاقاليم الاخرى .

وقد قالت جريدة المقطم الغراء في مقال نشرته في ٢٨ أغسطس سنة ١٩١٨ عما ألم بسورية من الملمات في هذه الحرب ما يأتي بهذا الشأن :

« أما نحن فاذا ذكرنا السوريين عنينا بهم أهل الشام وحلب ولبنان وفلسطين جميعاً كما كانوا منذ أزمان . فما وصلته الطبيعة لا تفصله الصناعة وما جمعه الله لا يفرقه انسان . »

يمكنني أن أعيش مع مواطني الماروني تحت حكم مستقل ولكن لا هو يستطيع أن يعيش بدون خبز ولا أنا ، فكلانا يجب ان يجلب قمحه من داخلية سورية .

ثم انه لا ينتظر من الفلاح الحوراني ان يجتاز « الحدود » — بتقدير فصل البلاد من كل وجه — الى لبنان لبيع غلاله فيه بعد دفع الرسوم الجمركية . وينزل سوق دمشق الاقرب اليه والافضل عنده لانه لا يكلفه من النفقات غير ما اعتاد دفعه من



قديم الزمان .

ثم ان ابن عكا لا يوافق علي سياسة الفصل والبرقي عرف  
انه اذا اراد ان يزور أخته في صور وجب عليه ان يأخذ جوازاً  
للسفر الى « بلاد أخرى » . ان هذه التغيرات غير طبيعية ولا  
يقبلها التصور .

انا بالرغم مما يعتور مجموعنا من العيوب الاجتماعية نجد في  
أنفسنا شجاعة أدبية ورائية تجري في عروقنا ونجمنا ننظر بعين  
المستقبل الى ذريتنا كما ننظر بعين الماضي الى أسلافنا ، وتحديد  
الرجل في عرف شكبير هو من ينظر الى الماضي والى للمستقبل  
معاً ، ففكرة التوارث التي تضمن مبدأ الحفظ ومبدأ التخليك قوية  
في افكارنا ، والديار التي سلكها أجدادنا الينا هي لنا ويجب ان نحفظها  
لنسلمها الى ذريتنا .

السوريون لا توجد بينهم عناصر أجنبية ، واختلاف النحل  
والمذاهب في الشعب لا يجعل الطوائف غريبة عن بعضها ،  
والجميع مستعدون على الدوام لازالة ما بينهم من الفوارق المحلية  
متى رأوا حكمهم في يد حكومة عادلة تلم شملهم وتجمع شتيتهم .  
وقد أظهروا هذا الاستعداد الكامن فيهم في ظروف مختلفة ولا  
سيما على أثر اعلان الحكم الدستوري في المملكة العثمانية  
سنة ١٩٠٨ ، فان شيوخ المسلمين جعلوا يتآخون مع كهنة  
المسيحيين ويقبل بعضهم بعضاً في شوارع بيروت . وقد حذا  
حذوهم غيرهم من أبناء الشعب ولو أن ذلك الحكم الدستوري

سار سيره الحقيقي في تركيا لظل التآخي جارياً مجراه الطبيعي في البلاد ، وقد كان طبيعياً لأن ما تظهره الحوادث من العواطف الوطنية والشعبية لا يكون فيه رياء ولا تصنع .

ثم ان الدول الاجنبية لا تستطيع ان تقول ان لها « حقوقاً ومصالح » سياسية في وطننا فميز لها التدخل القهري في شؤون البلاد ، والعراقيل الدوائية لا وجود لها في هيئتنا الاجتماعية التي هي سورية خالصة .

من مزايا سورية أن لها ذاتية مجسمة تحلبها محلا ممتازاً في الشرق الأدنى . وهذه الذاتية لها من القوة والجاذبية ما يصـ في لتحويل الاجانب الذين يعيشون فيها عن مميزات قوميتهم الاجتماعية — من حيث اللغة والعادات والاخلاق — والحاقهم بالهيئة السورية من هذه الوجوه . وكاتب هذه السطور يستطيع ان يعد عدداً كبيراً من العائلات الاوروبية التي ضمتها سورية الى أهلها وأكثر المرسلين الاميركيين الذين يأتون الى بلادنا للخدمة الدينية والعلمية تطيب لهم الديار وتستهوهم أبنائهم فيبوءونها ويتعشقون نظام حياتنا الاجتماعية وآداب لغتنا وكثيرون منهم يقضون العمر بيننا .

أن العلامة الطيب الذكر الدكتور كورنيليوس فاندريك كان مؤلفاً عربياً لا يجارى وكان له كثير من مميزات السوريين وكان في منزله يلبس العباءة السورية واذا زاره زائر يذكر له كثيراً من الامثال السورية والاشعار العربية بفصاحة عظيمة وكان في

شيخوخته يردد امام زواره كثيراً من الايات التي نظمت في وصف الشيخوخة وحاجات الشيوخ . وقد زاره بعض أعيان لبنان مرة في يوم شتاء كثير البرد فقام يحرك النار في الموقد قائلاً :

إذا جاء الشتاء فادفتوني فان الشيخ يضعفه الشتاء

وكان الدكتور جصب يقول بعد أن قضى زمناً طويلاً في سورية « صرت استسهل استخدام العربية في الوعظ أكثر من الانكليزية » .

وقد عاش المستر كلبون السنين الطوال في بلدة عبيه بلبنان فأحبه الأهالي واشتهر بينهم بالصالح والاخلاق الكاملة فدعوه « قديس لبنان » .

كثيرون من الأوروبيين والأميركيين الذين أقاموا في سورية واحتكوا بالسوريين شهدوا بما للبلاد من المواهب الجليلة وبما لأهلها من المزايا . واني مع تذكري المثل العربي القائل « مباح نفسه يقرئك السلام » أغتنم هذه الفرصة لاقتل قراء هذه الرسالة ، لمنفعة بني وطني في هذا الوقت ، ثلاث شهادات عن أخلاق السوريين واقتدارهم ونشاطهم . الأولى أداها رجل من كبار رجال العلم والصالح من المرسلين الأميركيين وهو الدكتور هنري جصب . والثانية أداها رجل من أكبر رجال السياسة ومن أشهر رجال الإصلاح في العصر الحديث وهو اللورد كرومر . والثالثة من الصحف . وهي كما ترى :



\* قال المستر جصب في كتابه « ثلاث وخسون سنة في سورية »  
ما يأتي :

« اني بعد اقامة أربع وأربعين سنة في سورية أؤدي بمزيد  
السرور شهادتي فيما يختص بالمزايا الجذابة الكثيرة التي رأيتها في أخلاق  
الشعب السوري العربي :

١ — كرم الضيافة عند السوريين • ان هذه المزية من مزاياهم  
شهيرة يضرب بها المثل وهي حقيقية ، فهم كرماء في اضافة الغرباء  
سواء كانوا من سكان المدن والقرى أو من عرب البادية ، وهم  
يقومون بالضيافة بلطف عظيم ومجاملة وطنية حميدة بين أبناء الطبقة  
الفقيرة ، بل الفقيرة جداً • ومن عاداتهم في الحفلات الكبيرة  
كلاعراس وعقد الخطوبة ان اصحاب الحفلة يدعون كل أهل القرية  
بمعنى الكلمة الى حفلتهم • واذا نزل في القرية ضيف أوروبى يقدم له  
أفضل المنازل فيها لاقامته •

٢ — شغفهم بأولادهم • لا يوجد قوم يولعون بأولادهم اكثر  
من السوريين وحيث يكون التعليم متيسراً لهم تراهم جميعاً مهتمين بتعليم  
أولادهم • والأولاد السوريون كثيرون النباهة والجاذبية ومحبوون  
وتجدر المقارنة بينهم وبين أبناء أي شعب من الشعوب الراقية •  
٣ — قابليتهم للتعليم • يسرك ان تسمع الصبيان والبنات  
السوريين يتلون فصولاً طويلة من الكتاب غياً فان لهم ذاكرة  
بديعة •

٤ — السوريون شعب متدين بفطرته ومن كان لا ينتمي

الى دين من الاديان ينظر اليه عندهم كمتخلق غريب • وهم يعتقدون بالكتب الالهية المنزلة — القرآن والتوراة •

• ٥٥ — ابناء العرب لهم لغة واسعة الآداب جميلة البيان لذيذة الشعر ولهم امثال لا تفوقها امثال في أية لغة اخرى • واللغة العربية عظيمة الفصاحة والتعبير والقوم • ولعن بها جداً •

• ٦ — اقتبس السوريون روح النشاط والعمل من المدنية الغربية وهم يقومون الآن بمهاجرة فينيقية جديدة فيذهبون الى اقصى اطراف الارض طلباً لتحسين احوالهم وسوف يعود منهم في المستقبل الفريق الاكثر صلابة والاوفر ثمة وكفاة لينفعوا بلادهم ويرفعوا شأنها •

• ٧ — كثير من رجالهم المتعلمين ممن تربوا في مدارس المربين وولاياتهم يشغلون الآن مراكز عالية في الهيئة الاجتماعية بين محررين في الصحف وكتاب ومديرين في دوائر الاعمال واطباء ووعاظ ومعلمين في كل انحاء هذه السلطنة (العثمانية) وفي مصر وشمالى افريقيا • •

• • وقال اللورد كرومر في كتابه « مصر الحديثة » ( مجلد ٢ - ص ٢١٧ ) ما يأتى :

« ان السوري من الوجهة الادبية او الاجتماعية او العقائدية يحل محلاً عالياً لا ريب فيه . ويندر ان يكون مرتشياً • توجد في الهيئة الاجتماعية السورية درجات كثيرة . فالسوري الذي من الدرجة الراقية هو رجل • مستكمل صفات الرجولية النبيلة وآدابه

وسلوكة بصفة عامة تدعو الى معاملته كعامل الاوروبي الذي من الطبقة الراقية على قاعدة المساواة الاجتماعية التامة بينهما فهو يستطيع ان يفعل ما يفعله الاوروبي ويفهم اذا فعل الاوروبي ما فله وهو قادر على البحث بدقة فيما اذا كان العمل قد عمل بحكمة او بغير حكمة . ولا يتقصه شيء من القوة المنطقية مطلقاً . وبالاختصار ان من الخطأ ان يقال انه يقلد المدنية تقليداً . ويمكن ان يقال بحق وصدق انه تمدن تمدناً حقيقياً . .

\* \* \* نشرت جريدة النقطم في عددها الصادر في اول يونيو سنة ١٩١٨ ، مقالة عن حركة السوريين المهاجرين فيما يختص بالحرب تشمل على الخبر الآتي منقولاً عن الصحف الاميركية وفيه دلالة على حمية السوريين واهتمامهم ونشاطهم :

« مما يدل على حمية السوريين في الولايات المتحدة ان ثلاثة من العمال اللبنانيين في دار صناعة فوردر في كوني بولاية مستشوستس حازوا سبق على خمسة عشر الف عامل يعملون في هذه الدار بغرزهم اكبر عدد من المسامير الضخمة المحيطة في دروع باخرة تبني جديداً ، فقد غرزوا في اول مايو الماضي ٢٨٠٥ مسامير في تسع ساعات فكان ذلك اكبر عدد عرف في تاريخ بناء البواخر الى ذلك اليوم وقد كافأت الحكومة الاميركية هؤلاء العمال بالجائزة المعينة لذلك ، ومنحتهم هبة أخرى علاوة عليها لما علمت انهم غرباء من لبنان . واسم رئيس هذه الفرقة خليل . لحم . .





## مسألة الطوائف والمذاهب

إذا ذكرت مسألة اختلاف المذاهب وجب أن يقال إن جميع المستنيرين بنور المدنية العصرية من أهل سورية يعرفون أن الدساتير السياسية هي التي حركت المنازعات الدينية بين مختلف العناصر في بلادهم والجميع يهتمون بإزالة تلك الفروق والفواصل الوهمية التي وقفت دهرًا طويلًا في طريقهم تعيق سير قوميتهم في سبيل التقدم تحت ساطة حكام مفتونين بالاغراض .

واضح أن نور المدنية الذي شح قرونًا في جهات معينة في سورية وخبا في جهات أخرى، أشرق الآن إشراقًا ساطعًا في كل أرجاء البلاد . ومن البله أن يقال بعد أن رأى المكون هذا المترك الدولي العظيم الذي وقف فيه فرع السلالة النبوية في صف المسيحيين يبارز الخليفة من أجل حق يطلبه ، والذي أمجد فيه البوذي والبروتستانت على أهلاك بروتستانت آخرين ، والذي قاتل فيه زنجي أواسط أفريقيا مسيحي أواسط أوروبا — من البله أن يقال بعد هذا أن المنازعات الدينية تقيم حوائل وسدودًا جديدة في طريق المدنية في سورية إذا تولت شؤونها حكومة دستورية عصرية .

لقد سئم الناس أيما سأم ذلك النظام الرسمي القديم الذي

كان يقضي بأن يسأل المرء عن دينه كما يسأل عن اسمه وهبته في دوائر الحكومة مثل المحاكم ومكتب الجوازات وغيرها .

وهذه الروح ليست بنت اليوم بين السوريين ذوي الوطنية . بل هي روح قديمة ظهرت منذ زمن طويل قبل الحرب في سورية وخصوصاً بين الطبقات المتعلمة . وكل ما جدد من هذا القليل هو ان الانقلاب الجديد أنضج مبدأً نامياً ، وحكاية تآخي الشيخ والكاهن في بيروت من الأدلة على ذلك .

ومما يستحق الذكر هنا انه لما وصل جيش الجنرال اثني الى لبنان متقدماً تلك البلاد التي كانت قد وصلت الى متهى درجات الضيق ، قام الاهالي يستقبلون منقذهم بقلوب تفيض بشراً وجوراً . وقد حضر بعضهم مأدبة أقيمت لكبار الضباط في احدى مدن الجبل فالتقى أحدهم خطبة رحب فيها بالقائد وأركان حربه بعبارات تناسب المقام ، وقد نلخص أهم ما يطلبه الشعب من الامور الحيوية التي تمس الحاجة اليها في أربعة مطالب ، وبالرغم من سوء الحالة العامة هناك والشدة المتناهية والمصاعب الجمة التي كان الاهالي يعانون حل اتقاها بسبب الانقلاب والمجاعة لم ينس الخطيب ان يجعل مطلب « التعليم الحر » واحداً منها وقد قال بهذا الشأن ما يأتي —  
قللاً عن جريدة فلسطين الانكليزية :

« انا بحاجة الى التعليم العام — الى التعليم الوافر الحرية الذي يوسع العقول ويشرف القلوب — ذلك التعليم الذي يجمع شتات الفرق على الرغم من اختلاف مذاهب الناس واديانهم —

ذلك التعليم الذي يعلم احترام حقوق الغير ويعلم ان على الفرد واجبات يقوم بها كما ان له حقوقاً ينالها . »

• وقد اكثر السوريون الذين يغارون على مصالح الوطن من جميع الطوائف من ابداء مثل هذه الافكار في المدة الاخيرة .  
ففي ٢٦ نوفمبر سنة ١٩١٨ نشر المقتم رسالة في هذا الموضوع لمحام سوري في احدى مديريات الدلتا في القطر المصري يصح ان ان تتخذها نموذجاً لما يقبل في هذه الايام من هذا القيل ،  
فقد قال فيها ما يأتي :

« يحق لكل سوري ان يفكر ويعمل لما فيه سعادة الوطن وادله ولا سيما في هذه الفرصة التي قد لا تسنح مرة اخرى في اجيال عديدة مقبلة . وازيد تقني بوطنيتكم وبانكم لا تدعون الفرصة تمر رأيت ان الفت نظركم الى ضرورة تبادل الافكار والآراء للنظر في احسن الطرق لوضع نظام تام ينعم ولايات سورية ولبنان ويكفل تأليف حكومة ثابتة ذات قوانين عادلة تضمن ترقية البلاد في الاخلاق والزراعة والمعارف والقضاء الخ وفي الدعامات التي يرتكز عليها تقدم البلاد تقدماً ثابتاً مع زوال الانقسامات والتحزبات المذهبية التي هي مرضنا القتل . »

وجمعية الاتحاد اللبناني التي أنشئت في القاهرة في سنة ١٩٠٩ للدفاع عن حقوق لبنان ومبادئه والتي تطالب الآن باستقلال لبنان ضمن حدوده الطبيعية تبني اعمالها على أربعة قواعد أساسية — الثالثة منها هي : — « نشر روح الاخاء بين طوائف الجبل



والسعي لازالة أسباب المنازعات الدينية والاقليمية . .

ومما يسر ذكره ويقابل بالارتياح ان جميع المقاطعات السورية التي لم تنتشر فيها الحركات السياسية الخارجية يحيا فيها الاهالي حياة وفاق ووثام وقلما يكثرثون باختلاف المذاهب . فني فلسطين مثلاً لا يوجد نزاع بين المسلمين والمسيحيين أو بين المسيحيين والدروز . وقد قال أحد أعضاء أسرة عید الوجیهة من أقليم عكا مرة لكاتب هذه السطور — « لا توجد بين الاصدقاء علائق مودة وصفاء أفضل من العلائق الموجودة بين المسيحيين والمسلمين عندنا . وقال أحد أعضاء عائلة طريف الوجیهة من قضاء صفد بفلسطين : — « اتنا لا نشعر بوجود ضغائن ملية في بلادنا والمسيحيون الذين نخالطهم مخالطة كثيرة في قرى عديدة — أخصها الرامية ، والمغار ، وابو سنان ، وكفر ياف حيث يوجد منهم كثيرون — هم على جانب عظيم من لطيف المعشر .

أما اليهود في جنوبی سورية فخالطهم نخوتف اختلافاً كبيراً عما تقدم ، ذلك لان الحركة الصهيونية طالبا انك الطوائف الاخرى بكثرة ما فيها من الدسائس السياسية الخارجية .

ثم ان المسلمين والمسيحيين في ولايتي الشام وحلب هم دائماً على أتم وفاق من الوجهة العنصرية . غير ان الحالة ليست كذلك في بيروت وبعض المدن الساحلية الاخرى من تلك الولاية وبعض انحاء لبنان حيث يكثر فتنة الاجانب وتمتد مساعي خدمة الاغراض السياسية .

ودروز حوران لا ينظرون مطلقاً الى المسائل المطائنية ولم يكن غريباً عندهم حتى نهاية الحرب غير : الدولاني ، اي .وظف الدولة سواء كان تركياً او متراكاً .

لما شبت نار الحرب وقف الدروز في حوران على الحياض محجبين عن خوض غمارها مع الدولة وهم المستضيئون من حكمها فلم تغرم مجاملات الترك الوقية ولا اضعفت عزيتهم .مظاهرات الألمان وفازوا بصون مركزهم والوقوف وحدهم معتمدين على قوتهم القومية ومواردهم الاقتصادية الوافرة . ولما باتت المجاعة تضغط على اهل لبنان وفلسطين هرع ألوف من سكان ذينك الاقليمين من جميع الطوائف والمذاهب الى حوران . فاستقبل الحورانيون ضيوفهم بما اعتادوه من الكرم وحسن الوفادة . وقد اشارت جريدة القطم الى ذلك في مقال نشرته في عدد يوم الخميس الواقع في ٢٩ اغسطس سنة ١٩١٨ عما حل بسورية من النوب السود قالت فيه ما يأتي :

» من الاخبار التي نشرناها امس عن سورية ولبنان بعد مشافهة اثنين نجوا اليينا من شهود العيان اخبار تصدع الاقنعة وتفتت الاكباد لانها تؤكد صحة كل ما وصل اليينا من اخبار السوء عن سورية فابناء تلك البلاد لا يزالون يموتون شر الميتات ، ولولا فضل الاميركيين الذين عم العالم المتتمدن فضاهم في هذه الايام ، ولولا فضل الدروز من اهل حوران الذين فتحوا ابواب ديارهم لكل لاجيء اليهم على اختلاف الطوائف والاديان لخفنا ان لا يبقى في البلاد ثلث اهلها الى

آخر هذا العام . هذه يا اهل الخير والاحسان الايام التي اعد الله لها اهل الجود والكرم وذوي الشفقة والرأفة

« فالمسلمون يموتون الان في سورية جوعاً الوفاً الوفاً والمسلمون اخوة على اختلاف الاجناس والارطان فكيف اذا كانوا عرباً وجيراناً . والمسيحيون والاسرائيليون اسوأ حالا حتى التبعاً ١٤.٠٠٠ يهودي الى دروز حوران فهمل سورية يحتاجون بسبب هذه الحرب الزبون الى اعانات » الخ

ولما علمت الجالية السورية في القاهرة بما آتاه الحورانيون من الشهامة ارتأى كثير من ابناء الوطن ارسال كتاب شكر لهم وقد كلف أحد مشاهير الخطاطين هواويني بك في القاهرة بتسطير ذلك الكتاب بخطه الجميل وارسل للقوم مع رسول خاص .

واني أورد هنا مناسبة المقام شهادة اخرى قديمة العهد في نفس الموضوع تدل على ان دروز سورية كانوا في الزمن الذي جرت فيه معركة نافرين كما هم في الاوقات الحاضرة فيما يختص بعلاقتهم مع الطوائف الاخرى في سورية . وهي مما كتبه لامرئين وهذا معربها :

« أن كرم الضيافة عندهم امر مقدس . فلا وعد ولا وعيد يحمل الدرزي على تسليم ضيف لاذ به ولو طلبه منه أميره . وحدث في زمن معركة نافرين ان الاوروبيين الذين كانوا مقيمين في مدن سورية وخافوا انتقام الترك لجأوا الى الدروز ومكثوا عندهم عدة شهور آمنين مطمئنين كل الطمأنينة . وشعارهم الادبي ان كل الناس اخوة وهذا ما يقوله الانجيل لنا غير ان



القوم يحفظونه اكثر منا .»

والمسيحيون والدروز في جبل لبنان كانوا على الدوام اخواناً  
بصفتهم شعباً لبنانياً وهم من هذا القبيل لا يزالون كذلك . وقد  
تآخى الموارنة والدروز دهرًا طويلاً كما يشهد التاريخ وطمنا تضافر  
هذان الفريقان في رفع شأن الوطن ، فكلتا الطائفتين باسلة وكلتاها  
ذات اخلاق قوية والفريقين ابطال يشاد بذكرهم وآمال وطنية  
يرجو الكل تحقيقها وكلاهما يحب ربي البلاد وأرزها .

غير ان الفريق الاول منهما — ويسوءني جداً ان أقول ما أقوله  
لاجل الحقيقة التي تمس الحاجة الى تهريرها الآن — في  
« كثير ، من الساسة المسمخين و « كثير ، من الكهنة المتحيزين  
الذين يخدمون « صالح خصوصية بايقاد الضغائن الدينية ولتم بناء  
الوحدة الوطنية . وكهنة مواطنينا اواره ذوو نفوذ عظيم في  
طائفتهم ، وهم مشهورون بحركتهم السياسية في سورية وبين  
الاوروبيين والاميركيين الذين يعرفون لبنان وأهله . وقد قال  
عنهم الدكتور جصب في كتابه ( ص ١٥٨ ) ما يأتي :

« ان هؤلاء الاحبار الشرقيين متعجرفون ممثلون بالفتنة  
السياسية ويشجعون شعبهم على ظلم الطوائف الاخرى ، »

في سنة ١٩١٧ نشر سيادة الحبر السيامي المشهور المطران يوسف  
دريان النائب البطريركي الماروني في مصر كتاباً دعاه « نبذة تاريخية  
في أصل الطائفة المارونية واستقلالها بجبل لبنان من قديم الدهر  
حتى الآن ، طاعن فيه الطوائف الاخرى من أبناء سورية

وخصوصاً الدروز، طاعنة شديدة . وقد كتب سيادته ذلك الكتاب رداً على كتاب فرنسوي نشره ندره بك المطران في باريس بعنوان « سورية القديسة » باحثاً فيه في المسألة السورية وقد قال فيه بين ما سطره من حجج الكلام : « كان الدروز وهم الاقلية متحكمين بلبنان وأهله الذين تتكون منهم الاكثريّة فحكمه بنو معن الى فخر الدين باسم الدروز ، الخ

فلم يطق سيادته هذا التعبير السياسي فسخط وحمل على الدروز والمسلمين وخير الموارنة من المسيحيين حملة شعواء والكتاب مطبوع يستطيع كل شخص ان يراه .

وقد روت جريدة البصير الغراء في عددها الصادر في ٢ ديسمبر سنة ١٩١٨ ان جناب المسيو كولوندر مكرتير الوكالة السياسية الفرنسية في بيروت قال في خطاب ألقاه في الكاتدرائية المارونية للقديس جارجيوس في تلك المدينة بعد ختام قداس حافل أقيم فيها « اني لا أنسى في هذا النهار المرحوم المطران بطرس شبلي ذلك الكريم الذي مات في ميلنا »

وقد كان رؤساء الكنيسة المذكورة في الماضي ينهجون مثل هذا المنهج في السياسة فان المرحوم المطران طويبا قال مرة لخورشيد باشا والي سورية قبل وقوع الحرب الاهلية في لبنان « افتح عينيك فان عندي ٢٠ ألف بندقية »

هؤلاء الاحبار الاجلاء الذين نحترهم شخصياً كل الاحترام جعلوا من المستحيل فعلاً ان يملك احد من غير رعايتهم من أبناء لبنان

أرضاً أو يقيم مستقراً في إقليم كسروان بين الموارنة ولا يعترض.  
على هذا القول بأن الناس أنفسهم لا يحبون الاختلاط بأبناء  
الطوائف الأخرى من إخوانهم اللبنانيين فإن أبناء كسروان كانوا  
على الدوام يتحدون مع مواطنيهم في قضاء الشوف في الأمور  
السياسية والاجتماعية ، وكانت تعقد بينهم روابط ومواثيق كبيرة  
القيمة من الوجهة الوطنية كما هو مشهور ولا يقصد بهذا المنع تجنب  
طائفة واحدة بل تجنب مواطنة كل من كان من غير أبناء الكنيسة نفسها  
كما يظهر فلا ورثوذكسي أو البروتستانت في كسروان يحدد نفسه كاليهودي  
في الحجاز ، ولا نخطيء إذا قلنا أن رؤساء الدين المشار إليهم كانوا السبب  
في إيجاد الخلاف المذهبي بين أبناء لبنان ولا سيما بين الموارنة  
والدروز .

وقد تجسم الخلاف بين هذين العنصرين أول مرة في أواخر  
القرن الثامن عشر عند ما طمحت فرنسا الملكية في عهد نابليون  
إلى الحلول في الشرق الأدنى ، وبلغ أشده في سنة ١٨٦٠ عندما  
وقعت بين الفريقين تلك الحادثة المشؤمة التي أدت إلى تداعل  
أوروبا في الأمر . وقد احتلت فرنسا القديمة أرض لبنان مدة  
ولكن إنكلترا التي أقنعت سورية في سنة ١٨٤١ من غزوة  
إبراهيم باشا وأرسلت قوة بحرية إلى بيروت تحت قيادة السير تشارلس  
نايبر لذلك الغرض أقنعت الدولة الفرنسية بوجوب جلاء جيشها  
عن سورية . ولما انجلي الأجانب اتهمت طوائف البلاد جميعها  
بسلامة الوطن ما عدا الفرقة الكاثوليكية في لبنان .





## الحركة القومية والقلقة التنصلية

ان الحرية التي انبثق فجرها مع الثورة العثمانية في سنة ١٩٠٨ جاءت بنهضة حقيقية لسورية فان البلاد افاقَت من هجوعها الطويل وشرعت تستفيد من الفرصة السانحة ، وغدا الاهالي يتناسون اختلافاتهم الطائفية ويسعون لترقية مصالحهم المشتركة اجتماعياً وسياسياً ، ومما يستحق التخصيص بالذكر ان محفل صنين الماسوني وهو أول محفل انشيء في لبنان مستمداً قوته ونظامه من الشرق السكوتلاندي — فعل فعلاً كبيراً في توثيق عرى الاخاء بين أبناء البلاد ضمن دائرته الخاصة ، وقد أقام عدة معارض صناعية محلية بقصد تشجيع الصناعة الاهلية ، وقام بحركة ديمقراطية في البلاد توسطت بين سياسة الاحزاب الارستوقراطية وسياسة الاكليرس .

ثم طفقت الجمعيات الاهلية تظهر في طول البلاد وعرضها منتشرة بكثرة فيها كما ينشأ الفطر لخدمة مختلف الاغراض المحلية بين سياسية وادبية وغير ذلك . وظهرت بضع جرائد جديدة في جهات مختلفة تبشر بالنهضة الحديثة وانشئت في المدن والقري أندية صغيرة دعيت « غرف قراءة »

وهكذا أخذت الحركة الوطنية في الانتشار والاتساع ليس في

الوطن قط بل فيه وبين الجاليات السورية في البلدان الخارجية أيضاً ، ولا سيما في مصر والولايات المتحدة حيث انشئت جمعيات عديدة ولجان وفروع لجان بقصد ترقية شؤون الوطن والدفاع عن مصالحه العامة ، وكان أكثر تلك الجمعيات ظهوراً حزب اللامركزية وحزب الاتحاد اللبناني في مصر ، وقد انشيء الاول لاجل احراز شبه استقلال اداري لسورية ولبنان ، والثاني لاجل صيانة حقوق لبنان وامتيازاته .

وحيث كانت الروح الدستورية في تركيا وقتئذ لاتزال بحالة الاختمار فقد نفر الترك من الحركة السورية وخافوا ان تمتد الروح الجديدة الناشئة فيها الي بقية أنحاء السلطنة العثمانية قبل ان تتوطد اركان الادارة الجديدة في الاستانة . لذلك طفقوا يحاربون تلك النهضة بطرق خصوصية مستغربة . وقد رضوا بمنح لبنان بعض امتيازات جديدة ، وعرضوا الوظائف العالية علي بعض اعضاء حزب اللامركزية وعينوا عندهم وزيراً لبنانياً وعضواً سورياً في مجلس الاعيان وارسلوا عدة حكام من أبناء العرب الى سورية منهم وال لولاية دمشق الشام الكبيرة ووعدوا بان يغدقوا جم المكارم على البلاد . وفي الوقت نفسه طفق كتاب الترك يحاربون اللامركزيين ومن عضد سياستهم .

أما الجمعيات السورية التي نشأت في أميركا فكانت همها تنصرف بالاكثرت لترقية شؤون المهاجرين ولكنها ، على بعدها من الوطن وعدم تمكنها من احداث تأثير فعلي في سياسة البلاد .

خدمت سورية خدماً جليلة من وجوه عديدة • وربما كان بعضها في الاحوال الحاضرة اكثر نفعا للوطن وأجل خدمة لقضيتنا القومية العامة من كثير من جمعياتنا البلدية •

وإنما كان كل شيء جارياً مجرى حسناً يلائم مصلحة الشعب ورغائب البلاد كان قدنة الحزب الاكليريكي يفرغون جهدهم في اجراء ما يطيب لهم اجراؤه مما يخالف تلك المصلحة ويضاد تلك الرغائب وبعبارة اخرى اجراء ما من شأنه ان يقضي الى تقويض هذا البناء الوطني العام • واضطروا وكلاء السياسة الخارجية ان يزيدوا قوة عملهم لمجاراة سير الحركة • على ان روح الوطنية في الشعب قاومت التجارب الشديدة ودلت على انها ، وهي طبيعية صحيحة فيه ، أقوى من ان تبددها الاوهام وتخمدها مظاهر النفوذ والمحامد الاصطناعية • غير ان البلاد قاست مغارم كثيرة تحت هذا العبء الثقيل •

تقدم ان بيروت كانت مركز الحركة الاجنبية في سورية وكانت سهام الاغراض تسد اني ذلك الجبل الخطير ، لبنان ، حيث كان كهنة الموارنة الاجلاء على استعداد دائم لقبول أية نجدة سياسية تأتي من الخارج • وهذه حقيقة يجب الاعتراف بها وهي معروفة في الشرق الادنى وبين الاجانب الذين تهتم أمور هذا الشرق فلا نحتاج الى برهان • ومع ذلك فقد يطيب لقراء هذه الرسالة ان يقرأوا الجملة الآتية منقولة عن رسالة افرنجية كتبها أحد وجهاء السوريين يعرض فيها احوال سورية قبل الحرب



فهي. جديرة بالملاحظة قال الكاتب :

« ان نفوذ الاكليرس الماروني قل كثيراً بسبب انتشار العلم بين ابناء تلك الطائفة ولكن في المدة التي نذكرها رأينا الفرنسيين وهم أعداء الكهنوت في بلادهم ، يحبون قوة الاكليرس السياسية في جبل لبنان ويشجعون فكرة النظر الى غبطة البطريرك الماروني كامير البلاد صاحب الشأن . وقد زاره في السنوات الاخيرة جناب الميودفرانس المعتمد السياسي الفرنسي في القاهرة ( سابقاً ) والميوكايو من رؤساء الوزارة السابقين في بازين وبعض أمراء البحر الفرنسيين . وحدث مرة ان غبطته زار أسطولاً فرنسياً فاستقبله ضباط الاسطول وجنوده استقبالا عظيماً وحيوه باطلاق المدافع تحية ملوكية . »

وكان من نتائج تداخل الاجانب في شؤون لبنان ، وضعف الحكومة العثمانية ، ان عناصر سكان الجبل وبعض الاقاليم الاخرى من سورية — ولا سيما السواحل — عقدت عقود مودة سياسية مع قنصليات الدول العظمى الضامنة امتيازات لبنان وبالاخص فرنسا وانكلترا وروسيا وعملاً بهذه العادة كانت فرنسا ترعى الموارنة وانكلترا ترعى الدروز وروسيا الروم الارثوذكس .

وحيث كانت مصالح الاهالي كثيرة الاختكاك ببعضها وكان الاهالي انفسهم على جانب عظيم من الحركة والذكاء فقد أبجدوا القنصليات المذكورة شغلاً كبيراً لا تعرفه القنصليات عادة في بلدان أخرى ، ذلك ان الموارنة كانوا كلما شاءوا نيل امتياز خاص

أو خدمة فرض «مين أو ادراك غاية من الغايات مما يتعاقب  
بالحكومة في لبنان وبيروت وغيرها ، يذهبون — أفراداً أو احزاباً —  
الى ائتمصل الفرنسي ويستدرجونه الى العمل لمصالحتهم ، وكان كل  
فريق من الدروز والارثوذكس يهرع كذلك الى « قنصلية »  
لمثل تلك الاغراض .

وقد اشتدت هذه القلقلة القنصلية في السنوات الاخيرة ، قبل  
الحرب ، الى درجة لم يسبق لها مثيل ، وتعمدت بسبب ذلك أمور  
كثيرة وبلغت المشكلة حداً قل عنده اضطبار الناس من الوجهة  
السياسية حتى بات الكل يتساءلون ماذا عسى ان يكون بعد كل  
هذا . وقد جاءت الحرب ، وهما نحن كما ترى .

## القسم الثاني

### ١

بلاغ من الحكومتين البريطانية والفرنسية

في يوم ٧ نوفمبر سنة ١٩١٨ أصدرت الحكومتان البريطانية والفرنسية متعتين البلاغ الآتي بنصه الرسمي :

- « أن الغرض الذي ترمي إليه فرنسا وبريطانيا ،
- « المعظم بمواصلتهما في الشرق تلك الحرب التي ،
- « أثارها الطمع الألماني هو تحرير الشعوب التي ،
- « طالما ظلمها الترك تحريراً نهائياً ، وتأسيس ،
- « حكومات ومصالح أهلية تبني سلطتها على ،
- « اختيار الأهالي الوطنيين لها اختياراً حراً ،
- « وقيامهم بذلك من تلقاء أنفسهم . وتنفيذاً لهذه ،



« النيات قد وقع الاتفاق على تشجيع العمل لتأسيس »  
« حكومات ومصالح اهلية في سورية والعراق »  
« اللاتين أتم الحلفاء تحريرها وفي البلاد التي »  
« يواصلون العمل لتحريرها وعلى مساعدة هذه »  
« الهيئات والاعتراف بها عند تأسيسها فعلاً »  
« والحلفاء يريدون عن ان يرغبوا سكان هذه »  
« الجهات على قبول نظام معين من المنظمات »  
« وإنما همهم ان يحققوا بعمومهم ومساعدتهم النافعة »  
« حركة الحكومات والمصالح التي ينشئها الاهالي »  
« لانفسهم مختارين حركة منتظمة وان يضمنوا »  
« لهم قضاء عادلاً واحداً للجميع وان يسهلوا »  
« انتشار العلم في البلاد وتقدمها اقتصادياً وذلك »  
« بتحريك هم الاهالي وتشجيعها وان يزيلوا الخلاف »  
« والتفرق الذي طالما استخدمته السياسة التركية »  
« ذلك هو ما اخذت الحكومتان الحليفتان على »  
« تقسيمها مسئولية القيام به في البلاد الحرة »

هذا تصريح جليل تلقاه جميع السوريين بالامتنان والارتياح  
لانه يوضح باجلى بيان ان هذا الشعب منح حق تقرير مصيره  
اعترافاً بما له من الحقوق القومية وبما له من الاستحقاق وللزاي

الشعبية ، وعملاً بالنبأ النبوي الديمقراطي الجديدة الآخذة في النمو والانتشار في جميع أقطار العالم . قالت بلادهم « حررت تحريراً نهائياً تاماً » وهي ستكون لما « حكومة أهلية تبني سلطتها على اختيار الأهالي الوطنيين لما اختياراً حراً » . ويصرح محرروها ذوو المقاصد النبيلة أنهم « بعيدون عن ان يرغبوا سكان هذه الجهات على قبول نظام معين من النظمات » .

واكن هذا البيان الرسمي كثير اذيجاز والتحفظ فلا يشبع فهم السوري فيما يختص بمستقبل وطنه . ومن يقرأه نجول في خاطره مئة - ؤال وسؤال . وأعم ما يستوجب الايضاح من الامر النقط الآتية :

١ - أي الصلات توجد بين الحجاز وسورية؟ قالت  
راية الشريف المعظم نشرت في هذه البلاد منذ أول  
اكتوبر سنة ١٩١٨ ؟

٢ - من يشرف على البلاد التي حررها جيش الجنرال  
النبوي من حكم الترك الى ان تستجمع قواها وتقف  
وحدها ؟

٣ - كيف ومتى تختار سورية نوع الحكم الذي يناسبها ؟  
وقد نشرت جريدة الاهرام الغراء مقالا صائباً في هذا  
الموضوع قالت فيه ما يأتي :

« لا نخطيء اذا نحن قلنا ان كل سوري وعربي صرف

زناً طويلاً في تلاوة « الاعلان الرسمي » الذي نشر باسم  
الحكومتين البريطانية والفرنسية عن « مصر سورية والعراق »  
ولقد قابوا الالفاظ والعبارات • بل استنطقوا الحرف والشكل لتجلى  
لهم الحقيقة ويعرفوا كل المعرفة روح البيان ومصرماه ومنزاه •

• ولقد ورد في البيان اسم سورية والعراق ولم يرد اسم  
فلسطين ولبنان فقال الفلسطينيون ان البلاغ لا يتناولنا لان لنا  
حالة خاصة بسطت مراراً • وقال اللبنانيون، مثل قولهم لان لهم  
حالة دولية خاصة • ولان لهم حكومة منظمة على قاعدة ديمقراطية  
اذا احتاجت الى الاصلاح لا تحتاج الى الاساس الذي تبنى عليه •

• أما العراقيون والسهريون فيرون ان فرنسا وانكلترا برتا  
بوعدهما في تحريرهم من ربة الترك • وبرتا بوعدهما في انهما  
قدمتا للشعب حرية اختيار شكل الحكم والادارة في بلادهم •  
وكل ما اختلفوا فيه هو وقت الاختيار وطريقته • وآراؤهم جميعاً متفقة  
على ان الحليفين بعد هذا الاعلان مستطمان الحرية لاهل البلاد  
في البحث والمناقشة وعقد الاجتماعات السياسية لتحيص الامور  
واختيار الافضل لهم لانه اذا كان كابوس الحرب قد زال الآن  
فان أثره لم يزل • فمن الواجب التروي • ومن الواجب امهال  
تلك البلاد حتى تستفيق من سباتها بل من الغيوبة التي أصابتها  
عقيب الضربات التركية على رأسها • فالجائع من تلك الامة  
لا يفكر الآن الا بان يشبع • والمديون الا بان يدبر شؤونه •  
والمنفي الا بان يعود الى أهله ووطنه • والخائف بغير التأمين •



والتدبر العاقل الرزين يتوق الى معرفة تطور العالم كله .

« أخف الى ما تقدم أن شطراً من عقل سورية ومن نفسها وروحها بعيد الآن عن سورية والعراق ولا مندوحة لامة تضع اليوم أساس مستقبلها من ان تجمع كل قواها وعقولها وأفكارها في وضع ذلك الأساس حتى يكون قوياً لا تزعمه الرياح بل العواصف . ولا تدركه الصواعق والنوازل .

« والدولتان الحليفتان الجليتان تعرفان ذلك كما تعرفان ان من السوريين نصف مليون ، أي نحو الربع ، في المهاجر . وان لهذا الربع حق الاختيار والقول اما كتابةً واما قولاً ولما امل الوطيد بان لا يحرم هذا الربع من ابداء رأيه ، وابداء هذا الرأي وتمحيصه لا يتسنى الآن لاقطاع المواصلات اقطناً لا يمكن البعيد عن سورية من العودة اليها .

فهذه الاعتبارات جميعاً يكررها الجميع ويثقون ان الدولتين الحليفتين تنظران اليها قبلهم وتنزلاتها منزلة الاعتبار . »

نشر البلاغ المتقدم ولم يعد ينشر بعده شيء رسمي عن مستقبل سورية . غير ان الجنرال السر أدموند اللبي محرر البلاد لما عاد الى مصر رسمياً بعد الانتصار ألقى خطبتين خصوصيتين احدهما في حفلة أقامتها له الجالية السورية في النادي السوري في القاهرة والآخرى في حفلة مثلها أقامها له السوريون في ناديهم بالاسكندرية ، تتضمنان كلاماً يريح البال كثيراً ، وقد تلقى السوريون ذلك الكلام بمزيد السرور والاعتباط .

ففي الأدبة الأولى التي أقيمت في نادي القاهرة  
في أول نوفمبر سنة ١٩١٨ ألقى السياسي الخبير العلامة الدكتور  
فارس نمر أحد أصحاب المقلم خطبة وطنية جليلة رحب فيها  
بالجنرال النبي وقدم له بالنيابة عن السوريين واجب الحمد والشكر  
على انتقاذ الديار السورية .

فاجاب القائد الكبير على تلك الخطبة بكلام رقيق قال  
فيه ما مؤداه : — « ان الغرض من المحاربة في هذه الحرب  
العظمى هو تأييد العدل وتحرير الامم الصغيرة المظلومة . فهذا  
الغرض قد ادرك الآن . ولا أشك في أن مؤتمر الصلح سيكون  
السوريين من استخدام كل الوسائل اللازمة لانجاح وبتنحهم حرية تقرير  
مستقبل بلادهم . »

وفي حلة نادي الاسكندرية خطب الوجهه اسعد افندي  
مفرج مرحباً بالجنرال بلسان السوريين ، وذكر في خطابه الجملة  
اللطيفة الآتية :

« يا محرر سورية ! انك لست في هذه الليلة ضيف  
السوريين بل أنت كما تقول بالاصطلاح العربي « صاحب البيت »  
وقد صار يجوز لنا من بعض الوجوه ان نعدك اول السوريين  
لانه اذا كانت الجنسية السورية تقوم لها قائمة فتكون أنت  
موجدتها . »

فاجاب الجنرال النبي جواباً كريماً قال فيه : — « أن سورية مثل  
جميع الامم الاخرى لما الحق في تقرير مستقبلها وتكيف مصيرها

بكل رجاء وثقة ، وتمنى للشعب السوري كل نجاح وارتقاء والوصول  
الى مستقبل سعيد .

غير أن ظواهر الحلة في الوطن لاتنحش الآمال الوطنية فان  
سورية قلقة تحت مختلف الاحكام وقد بدأت اقليمها المرتبطة بروابط  
الاخاء القديم تحس بالوحشة العظيمة لانفصال بعضها  
عن بعض .

ففي يوم الاحد الواقع في ١٠ نوفمبر سنة ١٩١٨ القى المسير  
كولوندر سكرتير معتمد الدولة الفرنسية في بيروت خطبة  
سياسية في الكنيسة المارونية بتلك المدينة لمناسبة الاحتفال بعيد  
القديس جاورجيوس قال فيها مايلي (١) :

« أن احتفال اليوم والذي كنا نحضره قبل الحرب في  
كل سنة نعيد فيه اليوم تذكارات روابط فرنسا مع الموارنة .

« أن مراكبنا وبواخرنا التي كانت تشق عرض البحر  
في خلال مدة الحرب كانت تنجي بدخانها الجبال اللبنانية وأما  
الآن فهي راسية في مرافئكم ومستظل فيها الى الابد . ولقد جئنا  
الآن لكي تثبت لكم علاقتنا الحية التي تربطنا بكم ولاجل  
تحريركم ومساعدتكم فصافحوا هذه اليد التي تصافحكم  
واشتغلوا كماكم في سبيل مصلحة البلاد بنزاهة واخلاص .

---

(١) ورد وصف الحفلة في مقالة طويلة تشتمل على هذه  
الخطبة ارسام مراسل جريدة البصير في بيروت الى جريدته ونشرت  
في عددها الصادر في ٢ ديسمبر سنة ١٩١٩ .



« نحن لانريد ان نفرق بين الاديان والمذاهب ، ولن نفرق مطلقاً بل اننا نريد ان نسير على طريق العدالة والاهلية ، واني لا أنسى في هذا النهار المرحوم المطران بطرس شبلي ذلك الكريم الذي مات في سيلنا . بيد آني اؤكد لكم انه لم يمت بل انه يحيا بروحه وتذكره بيننا وكذلك جميع الشبان الذين ماتوا في هذا السبيل فان عظامهم لترقص تحت التراب اليوم فرحاً وسروراً . »

« صافحوا يد فرنسا التي تمتد اليكم اليوم ، صافحوها كلكم واعملوا معها لخير الملامد . انا لا اطلب منكم انتم الموارنة ، هذه المصافحة فاني عالم ان يدكم في يدنا منذ اجيال ومستغلان معاً الى الابد (١) . »

لا ريب في ان هذا الخطاب السياسي الكنسي يغدق الغبطة والسرور العظيم على قلوب الحزب الاكليريكي المتقدم ذكره ، ولكن لا ينتظر ان يكون له مثل هذا التأثير عند أبناء الطوائف الاخرى من أهل البلاد بين روم ارثوذكس وبروتستانت وسنين ودروز ومناولة وكل من كان لا يذهب الى الكنيسة المارونية للصلاة ، وبالتالي كل مدني لا يود ان يمزج الدين بالسياسة ومن هذا الفريق الشيبة المارونية الراقية وجميع اعضاء جمعية الاتحاد اللبناني النبيلة المقاصد .

---

(١) هنا قتل المراسل : — « وهكذا ختم الاحتفال بين الهناف والتصفيق على انغام الموسيقى الرسبايز والمارش الانكليزي والمارش الماروني . »

ان ما فاه به المسيو كولوندر من وقتنه على المنبر الاكيريكي موجهاً الى الذين يقصد انه يسدي اليهم النصيحة بان « يصافخوا يد فرنسا » انما يؤيد اعتقادنا بان الساسة الككنائسين ، والوطنيين المخلصين لا يلتقون في راحة واحدة .

أما قوله وهو في الكنيسة « اتنا لا نريد ان نفرق بين الاديان والمذاهب » فيذكرنا بحكاية ذلك للعلم الذي أراد ان يتقف أخلاق تلاميذه بمنعهم عن « سب الدين » فقال لهم « العن دين من يسب الدين » !



ينبغي لنا الآن أن نقول كلمة في عرب الحجاز : ان أشرف مكة قادة العرب ، من السلالة الهاشمية العظيمة ، الذين وفدوا الى سورية مرتدين الاثواب العربية المسبلة لينشروا راية الحجاز الملكية فوق رأس عروس الشرق ، جاءوا — والحق يقال — طاهري الأيدي نظافت القلوب تمزجهم العواطف الصادقة والطباع العربية الكريمة كما يليق باحفاد النبي محمد . ولكنهم لم يجلبوا معهم غير ذلك لروح البلاد المدنية وهيئتها الاجتماعية المنظمة وأهلها الطامحين الى الارتقاء وحالتها الاقتصادية النامية .

وليس عليهم لوم في ذلك فان سوء حكم الترك لم يفسح للحجاز أقل مجال الارتقاء وكلنا يعلم انه فيما كانت هذه الولاية تسير ثقيلة الخطى في مؤخر الولايات العثمانية جميعها كانت سورية تسير سيراً

حيثاً في طريق المدنية المصرية متقدمة جميع تلك الولايات في الشرق الأدنى ولم تكن الاستانة نفسها اسبق منها في هذا المضمار . فلا بد لتجاوز من صرف نصف قرن من الزمن على الأقل حتى تصل الى الدرجة التي وصلت اليها سورية من هذا القبل . لانه ما دام شعارنا « الى الامام على الدوام » فلانحن نستطيع ان نقف الى ان يصير في استطاعة الحجاز مجاراتنا في السير ولا ان نرجع اتقهري للثقي في ميدان واحد .

ونحن في الحالة الحاضرة بعد انفصالنا عن تركيا — مع تقدمنا — لا بد لنا من معين يشد ازرننا مدة من الزمن قبل ان نستطيع ان نزيل علاننا الاجتماعية القديمة وننظم شؤوننا على نمط جديد ونقف وحدنا كلمة حرة ذات شأن بين الامم الحرة . وهذا انما نرجو الوصول اليه اذا اسمعنا الحظ بمعونة دولة خالية من الغرض لها من المقدرة والاختبار والخسكة في تربية الشعوب الديمقراطية ما يضمن لنا سهولة السير الى الامام ومواصلة الارتقاء العام .

ما سورية الا بلاد عربية ومن مصلحتها الحيوية ان ترفع شأن المدنية العربية وهي شديدة الرغبة في ذلك . ولكي تستطيع ان تفعل هذا الفعل لا بد لها من شرائع مدنية تسنها لنفسها تلائم نظام الشعب وحياته الاجتماعية العامة وتضمن ترقية مصالح البلاد مع مرور الزمن . وليس كل ما تستدعيه حالتنا من المنظمات يفيد الحجاز واهلها فان الشعب في تلك البقعة المقدمة لا بد له



من مشكاة خصوصية تنير سبيله • وقد رأينا في الصيف الماضي ( صيف ١٩١٨ ) ان الحكومة الحجازية الجديدة رأت من العدل والواجب ان تحكم على اعرابي من ينبع بقطع احدى يديه واحدى رجليه لانه تقب حائط السجن وهرب منه وشجع ثلاثة آخرين علي الهرب أيضاً ، وقد بني هذا الحكم على مادة في الشرع الشريف توجب توقيع مثل هذا القصاص على « من يسعى في الارض فساداً » ونشر في « القبلة » جريدة الحجاز الشبيهة بالرسمية (١)

(١) اليك ما نشرته جريدة القبلة عن الحكم المتقدم في عددها الصادر في يوم الخميس الواقع في ٢٧ شعبان سنة ١٣٣٦ :

« حدى شخص من اهالي ينبع في حقوق مدة ثلاثة ايام في الاسبوع الماضي • وفي ليلة الاثنين تساق جدران الحبس العمومي وفجر قسماً من سطحه واستخرج ثلاثة من المحايير • واحس به الحرس فجرى القبض عليه فوراً وفي صباحها اجرى عليه الدرجة الثالثة من حصد الذين يسعون في الارض فساداً بقطع احدى يديه ورجليه • واما الآخرون الذين فروا فطلبوا وقبض على احدثهم • وبما ان هذا اول حد اقيم على الذين يسعون في الارض فساداً فقد ابتهج الناس واستبشروا بما وراء تنفيذ من الصلاح العام ، وارتداع ذوي الآثام • وتلك هي حكمة الشرع في جعل العقوبة اليمية علي امثال هؤلاء المجرمين صيانة للمصلحة العمومية من ان يهدوها بانذاعهم نحو السيئات وتطميناً لحبي الامن والعدفية من ان يزعموهم بجرأتهم على المنكرات فضلاً عما ورد في السنة النبوية من تبشير مقيمي الحدود بالتوفيق والتأييد والنصر والتسديد »

التي قالت ان الجمهور تلقى هذا الحكم بمزيد الارتياح لانه يرى منه رادعاً عن الشر وفيه صيانة للامن العام في البلاد .

ان مثل هذا القصاص لا يخطر على بال هيئة حاكمة في سورية ولا يقبل التصور ايقاعه على مذنب سوري حتى في أشد المقاطعات الريفية خشونة في تلك البلاد . وهكذا نجد ان ما قد يرى من القوانين لازماً في الحجاز يرى غير طبيعي في سورية .

غير اننا من جهة أخرى نرى حقاً علينا الاعتراف بما للشريف المعظم وأنجاله الغر الصناديد من الفضل في الاشتراك بتحرير سورية من حكم الترك . فان الجيش العربي تحت قيادة ذلك البطل النبيل الامير فيصل كان الجناح الايمن لجيش الجنرال اللنبي المتصر من العقبة فصاعداً . وقد شهد قواد الحلفاء بما قام به من جليل الاعمال من الوجهة العسكرية الحربية في سبيل ادراك الغاية والوصول الى الغرض العام .

ثم انه يجب ان نعترف أيضاً بان الصلات التي بين دمشق عاصمة الامويين الفيحاء ومكة المكرمة دار الكعبة الشريفة ومقر ارفع بيت عربي ثار على الترك في ١٨ يونيو سنة ١٩١٦ — هي أهم من ان تقتصر على المجاملات الودية . ومع ذلك فاذا أريد رفع شأن المدنية العربية في هذا العصر الجديد بحيث يسترجع الجنس العربي مجده الاثيل في الشرق الادنى فيجب ان يكون المول في ذلك على سورية المدنية .

توجد شوكة أخرى في جنب سورية تؤلمها ، أعني المسألة الصهيونية ، أو الوطن القومي لليهود . فإن جميع أبناء الوطن يخشون أن يتسع نطاق الصهيونية في سورية وتشتد مطامع الصيونيّين حتى تغشي أرض جنوبي سورية كلها فيصيب أبناء تلك الأقاليم من الضيم والضرر ما لا يقدر .

لم يحس الناس في الأحوال الحاضرة بشيء من هذا الضيم حتى الآن ولكن ضغط الصهيونية لا يظهر في مثل هذا الوقت القصير ، ولا ندري ماذا يكون شأن السوريين مع العبرانيين في مستقبل الزمن ، غير أننا نرى أن المسألة في غاية الخطورة فإن الوطن العسام لا يكون وطناً خاصاً بالنسبة يقصده بنو إسرائيل .



## ٢

### سورية وفرنسا

لا ريب في انه يوجد نوع من سوء التفاهم بين فرنسا وسورية يجب ازالته .

فرنسا بلاد عظيمة ذات مواهب عجيبة ، تتمتع بشهرة واسعة ، ولها مزايا اجتماعية عالية تجتذب اليها أميال الأمم ، لغتها فصيحة عذبة البيان ، وواردها القومية غزيرة لا تنضب ، وطالما اتخذت الشعوب من ثلوث مبادئها الحرية ، مشكاة لانارة سبلها في الحياة ، فكم أمة حذت حذو فرنسا في رفع شأن قوميتها ، معتصمة بتلك المبادئ الجليلة — الحرية ، والاخاء ، والمساواة — وكم شعب نسخ صورة ثورتها العظيمة التي حطمت فيها قيود الاستبداد سنة ١٧٨٩ . ان مبادئ فرنسا النبيلة مسجلة في كل مكان وبصيغ مختلفة حتى ان المرء ليراها امام عينيه أنى كان وابن أمه .

ذهبت مؤخرًا الى قنصلية فرنسا في الاسكندرية ولم اكدم الى باب دارها وأسير خطوتين في المر الداخلي حتى لفتت نظري رقعة كبيرة معلقة على الحائط طبعت عليها عشرة مبادئ المانية يقابلها مثل هذا العدد من المبادئ الفرنسية قدسخت منها ما يأتي .

« مبادئ المانية »	« مبادئ فرنسوية »
الامم الصغيرة لا حق لها في الوجود السياسي لأنها لا تملك القوة التي هي العنصر الجيوسوي للحكم . فهي لذلك ليست بذات حق . - « تريتشكي »	ان جميع الامم كبيرة او صغيرة لها حق في الوجود على حد سوى .
ان عقود الاتفاق ليس فيها الزام للدول . - « تريتشكي »	ان احترام المعاهدات هو اساس الاتفاق بين الدول .
الحرية الفردية ليست حقاً من الحقوق . - « لا بائد »	الحرية الفردية هي حق حقيقي .
الضرورة شريعة . - « كواهر »	

ومن الين ان هذه المقابلة المؤثرة وضعت في اثناء الحرب أيام كان الحق لا يزال يصارع اقوة الصماء . وأيام كانت المبادئ الانسانية الشريفة تفيض على العالم فيضاً من جميع بلدان الحلفاء وتصل الى اقاصي الارض جارية في أنهر الصحف السيارة في كل مكان ، وفيوض هذه المبادئ الشريفة أيقظت كل قوم وحشت كل شعب على النهوض والاستفادة من هذا التطور السياسي العام والتغير الفكري الذي شمل الكون بأسره .

لقد باد المبدأ القديم « الحق للقوة » وتبرأت منه كل دولة وقفت في جانب الانسانية الحرة تناضل اقوة العسكرية الالمانية

التي كانت تحاول خنق الامم الصغيرة واصبح المبدأ الراقى « الحق يملو ولا يعلى عليه » .

ان سورية هي احدى البلدان العديدة التي اتقدها الحلفاء واعانوها على الخروج من تحت نير احكام الاستبداد الاجنبية الى نور الحرية . وقد تولى النظر في أمرها كل من بريطانيا العظمى وفرنسا من الحلفاء ونحن نحمد كتبهما على هذا الفضل الكبير .

قل لنا في مقال شبيه بالرسمي نشر حديثاً في الصحف المصرية عن الادارة الموقرة في سورية ، ان هذه الادارة لم تخصص بدولة او حكومة معينة بل جعلت « دولة » « أंतरناشونال » أي عهدوا بها الى موظفين يمثلون حكومات مختلفة . وقد جاء في ذلك المقال ما معر به :

« مما يحسن ذكره ايضاحاً للصفة الدولية البحتة التي جعلت لادارة الجنرال اللبي لسورية هو ان ادارة فلسطين عهد بها الى جنرال انكليزي ، وادارة اقسام الشمالي من أراضي الاعداء المحتلة الى ضابط فرنسي هو الكولونل دي ييباب ، وادارة القسم الشرقي من الاراضي المذكورة الى حاكم عربي هو علي باشا الركابي » .

وهذا معناه عبارة واضحة ان محرر سورية اللبي يدير شؤون البلاد الآن بالنيابة عن الحلفاء ، يريد عملاً بما له من السلطة ان يعطي البلاد فرصة حقيقية لاختيار نوع الحكم الذي يلائمها . وفقاً للمقاصد النبيلة التي ينطوي عليها بلاغ نوفمبر الماضي . ولكن



الجمعية التي تدعو نفسها « اللجنة السورية المركزية » في باريس وغرفة التجارة الفرنسية في مرسيليا ، والحزب الاكليريكي في الوطن ، وجماعة من وكلاء السياسة في الشرق — هؤلاء الناس ومن نهج نهجهم قلوبهم ، يقولون لحكومة الجمهورية الفرنسية الحرة ان سورية تلمس تداخل فرنسا في أمرها ، والوكلاء الذين سمعناهم يتكلمون عن « اخلاص » سورية لفرنسا ، في مصر وفي اوروبا ، كانوا يصدقون كل ما يسمعون من أقوال « الاصدقاء » المخلصين « عن تلك الديار مع ان المسألة مجسمة كثيراً في الحقيقة .

في السنة الماضية سمعنا بعض وكلاء السياسة يخطبون في هذا الموضوع ويعرضون بجمعية الاتحاد اللبناني — وهي احدى جمعياتنا الوطنية الحرة التي تخدم مصالح لبنان — قائلين انها جمعية « سفسطة » وذلك لانهم كانوا يظنون استتاجاً مما يسمعون عنها انها عبارة عن كمية مهملة .

ان السياسيين الذين يقاومون مصالح الوطن الحقيقية كتبوا كثيراً من فصيح البيان عن الاتحاد الشعري بين فرنسا وسورية ولكن سورية ، معظمها ، لا علم لها بتلك الحركة البيانية الخارجية . وهذا كله من شأنه ان يزيد سوء التفاهم .

وحقيقة الحال انني لا امراء فيها هي ان الجمعية المسماة « اللجنة السورية المركزية » في باريس لا تمثل غير أعضائها وهؤلاء هم سوريون بالاسم فقط . فان المسيو شكري غانم رئيس تلك الجمعية خرج من سورية صغيراً وقد نسي كل شيء عن

الهيئة الاجتماعية السورية فهو لا يدرك صفاتها المحسوسة . واكثر  
الاعضاء الآخرين سوريون من مصر ومنهم من لم يذهب الى  
سورية في حياته .

والواقع ان معظم سكان سورية — أهل الشام وحلب  
وحران وبيروت وجنوبي لبنان وأقليم القدس الشريف — لم  
يخطر لهم يبال ان يتخذوا منهجاً سياسياً كالنهج الذي تصوره  
اللجنة السورية المركزية في باريس تصويراً مجسماً . وحيث  
كانت للاهالي جياً آمال وطنية كبيرة وأمانى قومية عامة  
فلا فائدة من تحويل المياه عن مجاريها الطبيعية .

هل تدري الديمقراطية الفرنسية العظيمة ما يجري باسمها في  
بيروت ولبنان من المعاملة الاستعمارية الغير المستحبة .

هل تدري الديمقراطية الفرنسية ان أول ما فعله مجلس  
ادارة جبل لبنان عملاً بأشارة الادارة العسكرية الموقرة انه اتقى  
علي عاتق لبنان اول حمل مالي وضع عليه منذ أجيال بصفة  
قرض فرنسوي ؟

هل تدري الديمقراطية الفرنسية ان اعضاء مجلس الادارة  
المذكور — الذين زيدت مرتباتهم عند اجراء الترتيبات الاولى  
في بدء عهد الاحتلال العسكري الموقت من ٢٠ ليرة عثمانية الى  
٥٠ جنيهاً مصرياً — لم يروا بداً من ان يصذروا قراراً مدهشاً فيما  
يختص بمستقبل لبنان بدون ان تعطى لهم أقل سلطة من الشعب

للاقدام على أمر خطير كالذي قرره (١)  
هل تدري تلك الديمقراطية ان أبناء سورية الذين طلب  
منهم رسمياً ان يسطوا آراءهم فيما يختص بمستقبل بلادهم لا يزالون

---

(١) ان هذا التصرف من جهة مجلس ادارة الجبل اطلق السنة اللبنانية  
في كل مكان بمر الانتقاد، وقد كتبت جريدة « الامة »، وهي لسان  
حال جمعية الاتحاد اللبناني بالاسكندرية، مقالة في هذا الموضوع في  
عديها ٢٢٠ و ٢١١ قالت فيها ما يأتي :

« كنا نتمس الاعتراف لابناء البلاد (الموظفين) قبل اليوم اذا خضعوا  
لقوة تركيا الجائرة ولا رادتها العاشمة . اما الان فليس اهم من العذر  
شيء اذا اقدموا على اختراق حرمة النظام الاساسي للبنان وغض الطرف عن  
قوانينه وامتيازاته المعروف رسمياً لدى الدول الكبرى . »

نكتب هذا الى اعضاء مجلس الادارة الذي يمثل حكومة لبنان  
اليوم بحق الانتخاب السابق لغرض معين هو الاشراف على مصالح  
البلاد طبقاً للمادة الثانية من نظم لبنان الاساسي القائلة بان « يكلف  
المجلس الاداري بتوزيع الاموال الاميرية وبمراقبة ادارة الداخل والخارج  
وباعطاء رأيه الشوري في المسائل الادارية التي يطرحها عليه  
الحاكم . »

« فان اعضاء المجلس اليوم هم الذين انتخبهم الاهالي قبل  
الحرب ثم جاءت الحرب بويلاتها واعتدى الاتراك على امتيازات  
لبنان فمطلوا المجلس حتى اذا احتلت جيوش النبي الظافر تلك  
الاصقاع دعي الاعضاء القدماء انفسهم لاتمام مدة انتخابهم طبقاً للغرض  
الذي انتخبوا لاجله وهو محصور في الامور اللبنانية الادارية ولكننا  
لم نشمر الا بخروج المجلس عن الدائرة المرسومة له وتعرضه بلاحق  
لشؤون ليست من اختصاصه . »



غير قادرين على تبادل الآراء في هذا الامر الحيوي الخطير مع اخوانهم المقيمين في مصر وغيرها من البلدان الخارجية . مع ان الفرقه الشاذة في السياسة الوطنية تركت لها الحرية التامة لتكيف « مطالب البلاد » كما نشاء والسعي لادراك الغاية التي ترمي اليها

وبعد ان انتقدت الجريدة مواد قرار الادارة « السياسي » انتقاداً شديداً قالت :

« اكتفى مجلس الادارة بقوله وفعله ولم يبر ابناء البلاد اهتمامه ولا أخذ رأيهم ولا دعاهم الى مشاركته بالعمل وهو يدرك ان الحكم في لبنان شوروي وانه اذا لم يكن كذلك في الماضي فلان اليد التركية كانت تتلاعب به وبحكامه ، فن « التصريح العظيم الشأن » الذي نشرته بريطانيا العظمى وفرنسا الحرة لا يترك مجالاً لفئة من الفئات فتصرف بحقوق المجموع كما شاءت وشاء لها الهوى » .

وكتبت جريدة المقطم الراقية مقالة شديدة الاهجة في هذا الموضوع ذكرت فيها مجاس الادارة بالقوانين والنظمات النيابية التي يجب على كل مجلس منتخب اتباعها . وقد قالت في عرض الكلام ما يأتي :

« في العالم قاعدة نيابية شهيرة يظهر ان مجاس الادارة اغفلها اغفالا تاماً عن حسن نية طبعاً اذ لا يصح ان يقال ان اغفلها كان للجهل بها وهي ان المجالس النيابية لا يحق لها ان تتولى غير الامور التي فوضت اليها في بيان انتخابها او التي هي من حقوقها بمقتضى دستور بلادها وحسبنا ان نشير الى ما جرى في بريطانيا العظمى اخيراً وهو القرار على انتخاب برلمان جديد بكل اليه الشعب البريطاني حتى عقد الصلح على الوجوه التي يرومها الشعب لان البرلمان الماضي لم ينتخب لهذا الغرض

سياستها بكل وسيلة ممكنة (١) (وأهم مساعيها ايضاد وفد الى اوروبا اذا نظر قضية محكمة الامم الى اعضائه متفرسين فيهم يعلمون ما في ضمائرهم ويدركون سر حركتهم المصطنعة .)

---

وبريطانيا ام البرلمانت والمجالس النيابية وهي معلمة العالم فيها كما لا يخفى .

فمجلس ادارة لبنان ليس له ما يحوله الصفحة التي اختارها لنفسه لا بانتخابه في اناضي ولا بوكالة اعطيت اليه من الناخبين الآن . فقد انتخب اعضاء هذا المجلس على ما نذكر قبل الحرب في احوال غير الاحوال الحاضرة ولمهمة معروفة في ذلك الحين . فهو اذا يمثل اهل لبنان في حالة معينة ولكنه لا يمثلهم في جميع الاحوال واختصاصه الاصلي معروف معين لا يتناول ما كلف نفسه القيام به الآن . »

(١) نشرت جريدة الامة مقالاً حسناً في هذا الموضوع في عددهما الصادر في ١٢ يناير سنة ١٩١٩ قالت فيه ما يأتي :

« وليست الفرقة الواحدة في الامة الواحدة لتقوم مقام الكل أو تنطق بلسان المجموع وليس هناك عقد — مهما تكن صبغته سياسية أم اقتصادية أم تجارية أم بيع وشراء — يصح قانوناً وعقلاً ما لم تتوافر فيه شرطان جوهريان :

الاول علم صحيح بالامر . والثاني حرية تامة مطلقة .

اذا تقرر معنا هذا وهو المعروف قانوناً والمُعترف به دولياً ظهر لنا ان القسمة السورية التي يول على رأسها في « الوطن » ليست اليوم في موقف يمكنها من ابرام عقد من العقود السياسية أو من الفصل في تقرير مستقبل بلادها ولا سيما ان السواد الاكبر من المهاجرين السوريين في أنحاء العالم أحرار لا يقيدهم تقليد يؤثر باخلاصهم لوطنهم وهم ساعون بكل ما في وسعهم لاقرار مستقبل زاهر لسورية .

وقد نشرت وكالة هافاس بمصر نبأ تغرافياً مستغرباً ورد عليها من باريس في ١٣ يناير سنة ١٩١٩ هذا معربة :

« ان المؤتمر الفرنسي لسورية الذي عقد في مرسيليا برئاسة الميروفرا نكلين بويليون — رئيس لجنة الامور الخارجية في مجلس النواب — اتم أعماله بعد ان وافق على عدة مقترحات وطلب على وجه التخصيص ما يأتي :

- ١ — تحسين طرق المواصلات .
- ٢ — صيانة المصالح الفرنسية الاستعمارية بالاشتراك مع مصالح الشعب السوري .
- ٣ — اطلاق حرية استيراد المحاصيل السورية وتسهيل اصدار البضائع الى اقطر السوري .
- ٤ — انشاء مدرسة فرنسية عربية ومدرسة للعلوم الاسلامية .
- ٥ — تحسين التشريع التجاري السوري تبعاً لقواعد القانون الفرنسي .

وقرر المؤتمر شكر الرهبان والراهبات الفرنسيات على صادق اخلاصهم وعلى ما انتأوه من اعمال الاعانات الطيبة في آسيا الصغرى ولا سيما في سورية وفلسطين وما انفقوه على تلك الاعمال . ثم القى الدكتور الفريد خوري من اساتذة مدرسة الطب

---

قد يكون في منازع القوم الى الاحتفاظ ببعض العقائد النوع من الاعتراف بالفضل ولكن هذا الاعتراف على سبيل حجة ولكل منها طريقة معلومة في مواضع الاقرار غير انها جماء لا يخفى ان تكون مثرة في سبيل الوطنية الحرة التي تفضل مصلحة البلاد على كل مصلحة سواها . »



الفرنسوية في بيروت خطاباً مؤثراً عما قاساه اللبنانيون أبلت  
الحرب . .

ان مجرد عقد مؤتمر سوري ، في مرسيليا في الاحوال الحاضرة تحت  
رئاسة نائب من رجال السياسة الراديكاليين في فرنسا يكفي للدلالة  
على ان ذلك « المؤتمر » ليس الا جمعية تبحث في مشروع  
استعماري عظيم ، فلا يصح بوجه من الوجوه ان يدعى مؤتمراً  
سورياً ، وكيف يدعى كذلك وبين قراراته قرار يقضي بوجوب  
« صيانة مصالح فرنسا الاستعمارية » في سورية ؟ ان هذا  
يكشف لكل سوري صميم حقيقة مؤلة .

وما يلفت النظر من مقترحات ذلك « المؤتمر » اقتراح انشاء  
معهد للعلوم الدينية الاسلامية في سورية ، جأ بخير المسلمين  
في الوطن . ما أجلي تصنع حب الخير في عرض هذا الاقتراح وفي  
تقريره : من لنا ببلغ اعضاء تلك الجمعية الاستعمارية ان مسلمي  
سورية ليسوا بحاجة الى معهد مؤتمر مرسيليا ، وربما كان  
مثل هذا الاقتراح مفيداً لاهالي شمالي أفريقيا .

### ٣

#### حقائق جوهرية لا بد من تفهمها

يجب على كل باحث في المسألة السورية ألا يخس سورية حقها ولا يقل من قيمة مركزها الحقيقي . فان البلاد ناضجة للاستقلال وقد أدت خدماً جليلة للمدنية الحديثة في الشرق الأدنى بفضل ما اقتبسته من المعارف وأصول التربية العصرية بواسطة أميركا وانكلترا وفرنسا وإيطاليا . وهي الآن تطالب بما لها من الحقوق الطبيعية . — في نور الحوادث الحاضرة معتمدة على المبادئ الديمقراطية من جهة وعلى استحقاقها وكفاءتها من جهة أخرى .

« فالجمعية السورية المركزية » في باريس ، والمؤتمر السوري الافرنجي ، وغرفة التجارة في مرسيليا ، والآباء الجزويت ، وكل أعضاء الفرقة المعارضة من بعيد وقريب ، يجب ان ينظروا بعين الاعتبار الى الحقائق الآتية التي لا قائدة في سائرها او انكارها :

أولاً — ان سورية التي استقبلت جيش الجنرال اللنبي بأسطة ذراعيها ترحيباً بالخلفاء، حررت تحريراً ولم تفتح فتحاً .

ثانياً — ان سورية هي كتف الشرق الأدنى .

ثالثاً — ان الشرق الأدنى هو وطن العربية ومركز الخلافة

الاسلامية الشرقية الكبرى .

رابعاً — ان للاسلام حسب الواقع خلافتين في العالم ، احدهما وهي الاولى في الشرق الادنى الاسيوي ، والاخرى وهي الثانية في الغرب الاقصى الافريقي .

خامساً — ان بريطانيا العظمى هي أعظم دولة اوربية في الشرق الادنى واعظم دولة اسلامية في العالم .

سادساً — ان أميركا أقدم معلم لسورية وأكرم بلاد عرفها السوريون واحتكوا باهلها ، فيها وفي بلادهم ، منذ عشرات من السنين .

سابعاً — ان معاهد العلم الانكليزية التي يمتد نفوذها من جنوبي فلسطين الى صور ، والمعاهد الاميركية التي يمتد نفوذها من صور الى شمالي سورية ، حسب اتفاق قديم بين الارساليين الاميركية والبريطانية في تلك الجهات ، قد وحدث مساعيها من أمد بعيد لاجل ترقية الروح الادبية العصرية في الشعب والمساعدة على اقامة النظام الاجتماعي في البلاد على قواعد مدنية متشابهة . وقد أحرزت كلتا الارساليين فوزاً باهراً في منطقتها كما يعلم كل مطلع على أعمال أولئك المرسلين .

ثامناً — ان فرنسا هي أعظم دولة استعمارية في شمالي افريقية ، والخلافة الاسلامية الغربية في قبضة يدها .

تاسعاً — ان السلطنة العثمانية صاحبة الخلافة العريضة الشرقية الكبرى لم يعد لها في الشرق العربي موطيء قدم .

عاشراً — ان أبناء العرب على اختلاف مذاهبهم ، من مسلمين



ونصارى وغيرهم ، يفرغون قصارى جهدهم الآن لانشاء حكومة عربية جديدة علي اقتاض الولايات العثمانية في الشرق فلت لم يمكنوا من بلوغ هذا الغرض ظلت المسألة الشرقية ، التي سببت لاوروبا متاعب جمة ومشاكل شتى منذ اجيال ، معضلة لا قبل الحل .

ثم ان المسألة العربية نفسها مشكلة عسيرة الحل في الشرق الادنى . ان الفكرة السائدة الآن في الدوائر السورية ذات الشأن فيما يختص بمستقبل القطر السوري ، هي ان سورية يجب ان تحيا وحدها ضمن حدودها التاريخية القديمة بحياة طبيعية وان يفرغ نظام الحكم فيها في قالب مجموعة من الولايات المستقلة تحت سلطة حكومة مدنية ديمقراطية عامة بمساعدة جمعية الامم . اذن ماذا يكون شأن الخلافة العربية الشرقية العظمى وأين يكون مقرها ؟

هذا سؤال جوابه الآن في غامض علم الله . غير ان المهتمين بالامر في الدوائر الاسلامية يرجون ان يستقر د الفارس العربي ، في مقر ثابت بحيث يعيش في داره ناعم البال ولا يترك شريداً فيحل في الكون محل « اليهودي التائه » الذي عطف عليه الحلفاء فقدموا له مأوى منمناً في فلسطين .

« فاللجنة المركزية » المشار اليها ترى والحالة هذه في نور الحقائق انه يستحيل على أي نفوذ ان يمحو تأثير التعليم الاميري والتعليم الانكليزي من سورية كما تمحي الاشياء بعضا الساحر

ويفرض المبادئ اللاتينية على شعب غير لاتيني • وإس في وسع  
أحد نكران الحقائق المتقدمة •

ولا يخفى على أحد أن سورية لها بين الدول أكثر من  
صديقة واحدة • فإن الولايات المتحدة وبريطانيا المظنى وفرنسا  
وروسيا وإيطاليا كلهن صديقات لها ولكل منهن أصدقاء من أهلها  
تربطهم بها تقاليد قديمة والبلاد تهر بفضل كل من يعطف عليها  
وكل صديق يعينها على ترقية شؤونها حباً بمصلحتها لا بمصلحته (١)

---

(١) قد يطيب « للجنة المركزية السورية » أن تقرأ الجملة الآتية من  
مقالة نشرتها جريدة البصير السورية في ٢٦ نوفمبر وهي من سلسلة مقالات  
كتبها رئيس تحريرها • وهو كاتب اجتماعي قدير • باحثاً فيها في موضوع  
القوميات وكيف تندغم وحالة سورية من هذا القبيل : —

« وتلك النزعات الفارقة بين الشعوب السورية لا ترجع الى سبب  
واحد ، بل ان لكل من السياسة والآداب والشؤون الاقتصادية يداً  
في ذلك • فإذا كان هناك لدولة اجنبية أثر سياسي حسن فاننا نرى  
لاخرى الى جانبه أثراً ادبياً أو أثراً اقتصادياً ليس اقل منه حسناً •  
فاكثر الدول ، أو الدول الكبرى بأسرها ، ذوات فضل على سورية كل  
منها بقدر ما كان لها من تدخل في شؤونها المختلفة أو بقدر امتزاجها  
بسورية أو امتزاج سورية بها • ولذلك كان لكل من تلك الدول حق  
القول ان لها في سورية قلوباً تحفق نحوها •

على انه رغم كل ذلك قد يكون لسورية من قبيل المشابهة ، ومن  
جراء شدة الامتزاج نزعة أكثر ظهوراً نحو الولايات المتحدة بثيرها فيها  
امرات • الاول انها تشبه الولايات المتحدة ، مع مراعاة الفوارق  
العددية والاقتصادية والسياسية وغيرها ، من حيث اختلاف العناصر

فليس في العالم كله بلاد ترحب بتأليف جمعية الأمم أكثر من سورية . ومن بواعث الاغتياب ان نرى هذا المشروع الذي جادت به روية رئيس الولايات المتحدة ، أو كما قالت

المكونة منها ، والثاني منها في القرن الاخير الذي تنحصر فيه ابصار جيله وأمانهم كانت أكثر امتزاجا بالولايات المتحدة منها بسائر بلاد العالم وهذا الامتزاج بادية مظاهره في سورية نفسها وفي الولايات المتحدة . ففي سورية نرى المدارس الاميركية والرسالات الاميركية والتجارات الاميركية أكثر شيوعاً من كل مدارس ورسالات وتجارات آخر . وفي الولايات المتحدة نرى المهاجرين السوريين من طابة رزق وطابة علم أكثر منهم في اي بلد آخر . حتى أنهم ليوازي عددهم هناك خمس عددهم في بلادهم ، وأن ما اكتسبوه هناك من الرزق والعلم أهم من كل ما اكتسبوه في اي طلم آخر . والارزاق والعلوم التي اكتسبوها تتدفق على سورية منذ سنين طوال كل تدفق ، كما انه في غضون هذه الفترة نرى اليد الاميركية تعمل في انقاذ من بقي في سورية حياً وفي افائة المنكوب حتى الان من اولئك الاحياء .

اجل ان ذلك لا يحجب فضل تينك الدولتين الكبيرين انكلترا وفرنسا سواء في اعتناق سورية من ربة الظلم ماضياً وحاضراً وسواء في افائة منكوبيها من مختلف الآفات . ولكن انكلترا وفرنسا ليستا على شبه سورية اختلافاً في العناصر ولم يكن امتزاجهما بسورية امتزاج الولايات المتحدة بها .

فوالحالة هذه اننا لا نرى بأساً في ان نحذو سورية حذو الولايات المتحدة في تكوين حياتها القومية . كما اننا لا نرى بأساً اذا كان عطف الحلفاء نحو سورية بالغاً حد التساهل الكلي من ان يزداد الامتزاج القومي تأصلاً وظهوراً .



التيمس « غاية الشعوب الانكليزية » — يخرج من حيز القول الى حيز العمل .

قبل هذه الحرب وبعد سير وقائنها العظيمة . مدة طويلة كان يلوح للتأمل ان السياسة السرية تحفر قبوراً للام الصغيرة ومن جعلتها سورية . ولكن لما حيي وطيس الوغى واشتدت ويلات الحرب في كل مكان نشطت الانسانية المتأللة وطلبت القضاء على نظام الدسائس الدولية السرية قضاءً مبرماً .

ولم ير العالم وهو في هذا المأزق ، فعلاً أجلاً قدراً واعظماً وقعاً واكثر شهامة من خروج الرئيس ولسن الى الميدان لانتقاد الانسانية وتأييد الحق ونشر المبادئ السامية في الكون . لقد كان من مبادئ الالمان التي كسفتها الديموقراطية الفرنسية كما ذكرنا في الفصل المتقدم « ان الام الصغيرة لا حق لها في الوجود السياسي لانها لا تمتلك القوة التي هي العنصر الجوهرى للحكم » وان « الحرية الفردية ليست حقاً بذاتها » فالرئيس ولسن الذي أقدم اقدام البسالة والهمة على اعلان السياسة الجديدة القاضية بانشاء جمعية الام حياً بصون الحقوق الدولية العامة أغدق الرضى والارتياح على قلب كل أمة صغيرة .

لما كانت السياسة القديمة — سياسة ما قبل الحرب — لا تزال ذات حول وطول كان غالباً يستحيل على الامة الصغيرة ان تلجأ الى دولة قوية طلباً للمساعدة بدون ان تعرض نفسها لخطر الوقوع تحت ضغط تلك الدولة المساعدة . فارتقاء المقاصد النبيلة لدرجة

الحكم بوجوب انشاء جمعية للامم من شأنه ان يوجد ضامناً لاية  
أمة أو قومية تستمد المعونة من غيرها وتطالب العدل والحق .

فجمعية الامم والحالة هذه يجب ان تعد دولة جديدة بعثت  
الى الكون لتحكم مملكة الديمقراطية العامة بقوة الحق والعدل  
والمباديء الانسانية الصحيحة .

لما ذهب الوفد للمثل لجة جمعية الامم المؤلفة حديثاً  
في انكاترا للترحيب بالرئيس ولسن في السفارة الاميركية بلندن  
في ديسمبر سنة ١٩١٨ . التي الاورد جراي رئيسها ورئيس الوفد خطبة  
ترحيب قال فيها : « انا نعتقد ان هذا الزمن هو أعظم فرصة  
سائحة لتحسين مستقبل العالم بوجه عام . »

وقال المستر بوارمن في خطاب رحب فيه بالرئيس بالنيابة عن  
حزب العمال ولجنة الاتحاد التجاري في مجلس العموم ما يأتي :

« أن أقوالك ايها الرئيس جعلت لحرب الامم صفة جديدة  
صارت بها حرب تحرير وانقاذ . قد اكدت لنا ان جميع الامم التي  
تطلب الحرية والتي ترغب السير في طريق السلام ستجد منك معيناً ثباتاً  
وصديقاً حكماً ومشيراً نصوحاً متى جاء دور المداولة في مؤتمر الصلح ،  
وايقنا من أقوالك ان الفصل في مشاكل الحرب نهائياً سيكون بيد  
العدل والحق وحدها . »



## الفصل في قضية سورية

أن سورية ترجو، وحق لها الرجاء، أن تزول كل سياسة سرية تختص بمستقبلها بتأثير فعل المبادئ العالية التي نشرت في العالم المتمدن تحت إشراف مملكة الديمقراطية الجديدة — جمعية الأمم — أن السياسة السرية جلبت الخراب والدمار لكثير من الأمم والبلدان لأنها كانت تلغم كل بناء وطني أو قومي كان يقف في سبيل مطامع القوة .

فإذا أتحدث ففكرة الشعوب المتكلمة بالانكليزية مع روح الحرية المجيدة الناهضة بفرنسا، ومبادئ الديمقراطية العالية في إيطاليا، والروح القومية السامية في اليابان، يتكون من هذا الاتحاد عامل جديد يزيل تلك البثرة الشنيعة من وجه المدينة المليح .

ورد ذكر « السياسة الصريحة » في جدول أعمال مجلس النواب الفرنسي في جلسة ٢٩ ديسمبر سنة ١٩١٨ إذ قام كل من السيو يشون وزير الخارجية والسيو كلمانصو رئيس الوزراء يديط لنواب الأمة ما استطاع بسطه من الأمور عن مختلف المسائل التي تهم فرنسا وينتظر البحث فيها في مؤتمر الصلح . وكان السيوفرانكاين بويليون، الذي ترأس « المؤتمر السوري » الافرنجي في مرسيليا



أحد النواب الذين تصدوا لسياسة الحكومة الخارجية طاعنين فيها ، وقد أجاب المسيو كليمانصو على اعتراضاتهم بكلام مملوء صراحة شهر فيه خطتهم قائلاً ان سياستهم « لا تزال توجي بها روح الدعائس السياسية التي كانت تجري قبل الحرب » .

وقد وجه المسيو بويليون تهماً عمومية الى الذين يبدون سياسة فرنسا الخارجية فرد عليه المسيو يشون بكلام طويل قال فيه :

« ان الحكومة الفرنسية قبلت المبادئ القاضية بإنشاء جمعية الامم وستعمل لتنفيذها وتحقيقها » .

واستطرد المسيو يشون الكلام الى ذكر سياسة فرنسا قبل الحرب فيما يختص بسورية والى الاتفاق البريطاني بشأن آسيا الصغرى فقال :

« نحن بالطبع نقر بان المؤتمر الصلح تمام الحرية والحق في تقرير ما يراه مناسباً فيما يختص بالاتفاقات المذكورة ، ولكن هذه الاتفاقات تربطنا وتربط انكلترا معنا فهي نافذة في سياسة الدولتين معاً وهي ستعرض على المؤتمر للبحث فيها » .

وفي يوم الجمعة الواقع في ٢٧ ديسمبر سنة ١٩١٨ وقف المسيو كاشين في مجلس النواب الفرنسي وطعن في السياسة السرية قائلاً : « ان مفاوضات مؤتمر فرمايل يجب ان تعلن » . . . . ولما ذكر المسألة السورية قال : « يستحيل ان تظلوا غير مكترئين لشكوى السوريين . . . . يجب ان نحترم الوحدة السورية » . يجب ان نحترم المبدأ الذي حاربنا من أجله وان نعدده دين شرف

واجب الوفاء • يجب على الحلفاء ان يردوا الي سورية وحدتها  
ويعتصروا أهلها بحريتهم وبمنحوم الاستقلال • أجل يجب على الحلفاء  
ان يمنحوا الاستقلال لهذا الشعب الذي انتشر نوابه في العواصم  
وأظهروا ان لهم أهلية ومدنية راقية •

وهذه الاقوال وغيرها تدل على انه ان كان للوطنية السورية اصدقاء  
في دار الندوة الفرنسية يسرون على مباديء • روح الدعائس  
التي كانت جارية قبل الحرب • كما قال الميوكليمانصوفان لها بين  
النواب اصدقاء ذوي آراء مستقلة •

ثم ان الملاحظات المقدمة بما قاله الساسة الفرنسيون تفهمنا  
ان فرنسا راضية كل الرضى بان يترك حل مسائلنا لجمعية الامم  
وهو تمر الصلح • فهي مستعدة لالغاء الاتفاقات المختصة بسورية  
اذا كانت انكثرتا تفعل كذلك •

ونحن نرى ان انكثرتا تعمل بمقتضى الاعلان الذي أرسلته  
بلاشتراك مع حليفتها الى السوريين في ٧ نوفمبر سنة ١٩١٨ تدعوم  
فيه لاختيار نوع الحكم الذي يلائم وطنهم وهو يوضح بعبارة  
صريحة ان للحليفتين العظيمتين غرضاً واحداً هو تأميس حكومة  
أهلية سورية • تستمد سلطتها من الشعب ومحض ارادته •  
وكل شعب له ارادة خاصة تشتق من جنسيته العامة فارادة الشعب  
السوري سورية ولا تكون افرنجية •

وقد اكد لنا الجنرال اللبي محرم سورية في الخطاب الذي  
ألقاه في النادي السوري • ان سورية • لها الحق بان تقرر

مصيرها بكل رجاء وثقة وان . مؤتمر الصلح سيطلق حرية السوريين  
ويمكنهم من انجاح قضيتهم .»

ولم نسمع ان مجلس العموم بحث في أي اتفاق يختص بسورية  
فنحن غير مقدين ولنا ان نستنتج ان اتفاق سنة ١٩١٦ الذي  
أشير اليه فيما تقدم لم يكن الا اتفاقاً مؤقتاً يراد منه تعيين غرض  
حربي يدر الزحف في ارض العدو . وهذا الاتفاق ظل منذاً  
به حتى شهر نوفمبر الماضي فلما صدر البلاغ السياسي المشترك الدال  
على فضل الحلفاء . بات الاتفاق الحربي الذي تقدمه ملغياً لا تقوم  
به دعوى دولية . لان كل اتفاق مبهم يكون واجب التنفيذ قطعاً  
بتاً . وقد نفذ الغرض الحربي عملاً بذلك الاتفاق تماماً ولكن  
سياسة الحلم والعدل لم تشأ ان تأخذ سورية بمجيرة تركيا ، لذلك  
قيل للسوريين اختاروا الحكم الذي تريدونه لبلادكم ولم يقل لهم  
اتفقنا نهائياً فلا سبيل لكم الى اختيار ما تريدون ، وقد سجلت دعوة  
التخير في بلاغ رسمي عظيم الشأن فلا تقض لهذا القرار .

ان « اللجنة السورية المركزية » في باريس وغرفة التجارة  
في مرسيليا أبلغتا الصحف الأوروبية ان الشعب السوري يطلب  
بالاجماع ان يكون بين سورية وفرنسا اتحاد فعلي . وهذا خطأ  
بل هذا ضرب من خزعبلات القمامة . فان أصدق أصدقاء  
فرنسا في لبنان — ماعدا الحزب الاكليريكي الذي أسمعه المسيوكولوندر  
خطابه السياسي في كنيسة بيروت — هم مع البلاد فيما تطلبه من  
الحقوق وما تنزع اليه من الاستقلال .



. فالديموقراطية الفرنسية الحرة تساعد سورية على ان تتمتع بحرية « سورية » ، وجمعية الامم هي معها بروحها ومبادئها ، والولايات المتحدة الواقعة مع الامم الصغيرة لا تنسى تلميذتها ، وبريطانيا العظمى التي نالت بما لها من العدل وحسن الذكر في الشرق مركزاً عالياً في هذه الناحية من انحاء العالم تؤيد ما لسورية من الحق الوطني ، ونحن نرجو ان يجعل تحرير جيش الجنرال النبي لسورية تحريراً حقيقياً شاملاً .

انا نطلب الحرية في أفضل الفرص ، وسنقابل بالحد والامتنان كل كلمة تقال في مؤتمر الصلح لفائدة وطننا وتعزيز جنسيتنا السياسية الجديدة وفقاً لسنة الارتقاء في حياتنا الاجتماعية ، وتقدر قدر كل مساعدة سياسية نمكن بلادنا من بلوغ الغاية التي تصبو الى ادراكها .

لما عقدت الهدنة في ١١ نوفمبر سنة ١٩١٨ ، ووقف الدكتور ولسن يتلو شروطها على مجلس النواب في واشنطن اتى خطبة جليلة يصف فيها ما تنوي الحكومة الاميركية فعله لخير المدينة واسعاد بني البشر بعد ان اتى العذو السلاح ، وكان في كلامه ما ينعش آمالنا ويقوي رجاء كل شعب من الشعوب المظلومة ، ولا سيما قوله ما يأتي :

« واني واثق بان الامم التي تربت على الحرية ستغلب العالم بقوتها ومعوتها الودية . أما الشعوب التي تملصت الآن من نير حكم الاستبداد ونالت حريتها فانها لا تجد كنز الحرية اذا بحثت

منه بنور المشاعيل قطع ، فاتمها اذا فعلت ألفت جميع الطرق  
المخضبة بدم ابنائها تؤدي الى القفر وليس الى مناط رجائها . وهذه  
الشعوب صارت الآن امام الامتحان الابتدائي فعلينا ان نبقي  
المصباح مناراً الى ان تسترشد لامرها وتشعر بوجودها وحريتها  
ويجب علينا في الوقت عينه ان نوجد صلحاً معين ، مقامها بين  
الامم ، ويبرر استقلالها ، ويزيل من قلوبها كل خوف من  
جيرانها وساداتها السابقين ، ويمكنها من ان تعيش بامان ورفاهية  
بعد ما تكون قد نظمت امورها . ولست ارتاب في صحة  
عزمها ولا في قدرتها وكفاءتها ، فاذا اختارت ان تضبط نفسها  
وتعيش بسلام فاننا نساعدنا بكل ما نستطيع واذا لم نختر ذلك  
وجب علينا ان نتنظر بالصبر والعطف عليها الى ان تستيقظ وتسترد  
قوتها وهو ما لا بد من وقوعه في آخر الامر . »



## سورية للسوريين

أن أول المطالب وأعماها عند أهل سورية بجمليتها هو  
« الاستقلال » ، فإن الفكرة مخمرة في جميع أنحاء البلاد ، وهي قد  
تصاغ بصيغ مختلفة ولكن الغرض واحد غير مختلف .

نحن لا نجهل ان كثيرين من المفرضين والمسخرين الذين  
تعودوا الدسائس السياسية قبل الحرب يحاربون أنبل المطالب  
السورية بطرق غير نبيلة ، في الوطن وفي البلدان الخارجية ، اتباعاً  
لحركة قوية ناشئة قبل الحرب مبنية على السياسة الاستعمارية .  
ولكن الوطنيين الصادقين على ثقة تامة من ان دهاقنة السياسة  
في دول الحلفاء — المنوط بهم الآن حل أعظم قضية دولية بسطت  
امام العالم — لا يسمحون بان تربط سورية بسلسلة ذهبية في مؤخر  
الاقوام بينما الامم الصغيرة تتقدم ناشطة الى الامام لتشغل المراكز  
الجديدة التي أعدت لها في دائرة الامم الحرة . لقد صدق الاورد  
كرزون بقوله « يجب ان يكون أعنى البصيرة من لا يرى اننا  
اذا لم نخرج في هذا الوقت من ذلك العصر القديم الى حياة  
جديدة فقد أفضل عصر ذهبي رآه العالم . »

شعارنا بصريح الكلام هو « سورية للسوريين » . ومطالبنا



الوطنية افرغت في بيان بسطه حزب الاتحاد السوري في الاسكندرية (١) ومصر فتبس منه ما يأتي :

أ — تكون سورية بجمعتها على وحدتها القومية العربية من جبال طوروس شمالاً فالخابور فالفرات شرقاً والصحراء العربية فمدائن صالح جنوباً فالبحر المتوسط غرباً .

---

(١) بعد انجاز كتابة ما تقدم في الاصل الانكليزي وتقديمه للطبع قام فريق من كبار السوريين المشهورين في عالم السياسة والاجتماع ( تحت رئاسة العلامة الدكتور فارس نمر من اصحاب انقظم ) بحركة جديدة حميدة يراد منها التوفيق بين مختلف الاحزاب حياً بجمع الكلمة فانشأوا حزباً دعوه « الحزب السوري المعتدل » وساروا في سياسته على مبدأ « استقلال سورية بمحدودها التاريخية بمساعدة الولايات المتحدة نائبة عن جمعية الامم » ، وقد انضم الى هذا الحزب عدد عظيم من ارباب الوطنية الصحيحة ، وبرز حزب الاتحاد السوري في الاسكندرية ( برئاسة صاحب السعادة خليل باشا خياط ) الى موقف الصراحة التامة في الوطنية فاتفق مع الحزب الجديد وصاروا اياه حزباً واحداً لان « بايدي الفريقين واحدة من جميع الوجوه تقريباً وحصر رغائبه فيما يلي :

اولاً — ان تكون سورية من جبال طوروس شمالاً الى حدود صحراء سيناء جنوباً ، ومن البحر المتوسط غرباً الى الصحراء العربية شرقاً . بلاداً واحدة متحدة غير متجزئة .

ثانياً — ان يعلن مؤتمر الحلفاء استقلال سورية التام وينتدب دولة لتساعد حكومتها حتى تبلغ الدرجة التي تمكنها من حفظ هذا الاستقلال والتمتع به ، وان تكون تلك الدولة هي الولايات المتحدة الاميركية لانها غير مقيدة باتفاقات تستلزم تجزئة سورية .

- ٢ — تكون سورية مستقلة استقلالاً تاماً تضمنه جمعية الامم وتضمن قانونه الاساسي ضماناً لا يخل بهذا الاستقلال .
- ٣ — تلتزم سورية من جمعية الامم ان تتدب من قبلها دولة لا غرض لها في البلاد والبلاد ثقة تامة بها لتنظيم الحكم الجديد فيها الى ان يشتد ساعدها ويصير في استطاعتها ان تقف وحدها بقوة بين الامم الحرة العاملة (١)
- ٤ — يكون الحكم فيها على مبدأ الديمقراطية اللامركزية ويكون أساس قوانينها واحكامها مدنياً بحتاً ما عدا أحكام الاحوال الشخصية فانها تبقى على ما هي عليه .

---

ثالثاً — ان تقسم البلاد الى ولايات متحدة تكون كل منها مفتقة بشؤونها الداخلية ومرجع جميعها الى حكومة واحدة مركزية نيابية مدنية .

رابعاً — ان تكون اللغة العربية هي لغة الرسمية الوحيدة للبلاد كلها .

خامساً — ان تكون الديانة مفصولة فصلاً تاماً عن الحكومة وسياستها مع المحافظة على أحكام الاحوال الشخصية .

(١) هنا يختلف مبدأ حزب الاتحاد السوري في القاهرة ، لان هذا الحزب يرى ان « تستعين حكومة البلاد بجمعية الامم على انتقاء الاختصاصيين للوظائف الاستشارية العالية التي تمس الحاجة اليها في باديء الامر » ، ولا شك بان التشجيع من مطالب الاستقلال التام وتجنب تدخل الدول الاجنبية ناتجان من قوة الوطنية في هذا الحزب الكريم . غير ان طلب الاختصاصيين من جمعية الامم للوظائف العالية « التي تمس الحاجة اليها » يري جمعية الامم ان سورية في الحقيقة تحتاج الى يد اجنبية منظمة في باديء الامر ، والاختصاصي لا يستخدم عادة الالعمل تكميلي تطلبه هيئة منظمة .

- ٥ — يكون دستور البلاد ضامناً لحقوق الاقليات فيها .
- ٦ — تقسم البلاد ادارياً الى بلاد مستقلة في داخلها مرتبط بعضها ببعض في مصالحها العامة وتراعى في هذا التقسيم الاعتبارات التقليدية والجغرافية كاعتبارات المحلية الخاصة في فلسطين وجبل حوران ، وتقاليد القبائل البدوية ، والنصيرية ، في ولايات حلب والشام ودير الزور ، وتقاليد لبنان وحدوده الطبيعية . وامتيازاته القديمة .

وقد أفرغت إحدى الجمعيات السورية في اميركا المطالب الوطنية في قالب آخر بمعنى ما يأتي :

- ان تستقل سورية بجمليتها وتكون لها حكومة أهلية تدير الامور تحت اشراف الدول الثلاث العظمى — الولايات المتحدة واثكلترا وفرنسا — اللاتي لهن الفضل الاكبر على البلاد من حيث المحافظة على الشعب وتحريره .

- ان تكون سورية مؤلفة من بضع ولايات متحدة تتمتع كل منها بالاستقلال المحلي وتكون كلها تابعة لحكومة مركزية واحدة كما هي الحالة في الولايات المتحدة الاميركية .

- للدول الثلاث ان يتقن على اختيار احدها من القيام بهذه المهمة ولهن اذا شئن ان ينتدبن لجنة ثلاثية تمثلن معاً لأديها بحيث تتبع في ذلك نظاماً واحداً يصلح لترقية البلاد بجمليتها .

ثم ان جمعية « سورية الجديدة » في نيويورك تصرح بطلب الولايات المتحدة دون غيرها لتنظيم سورية .



ويوجد في الوطن فريق كبير من الناس يقترحون ان تدعى  
الولايات المتحدة لحل العهدة السورية ، وهذه الفكرة منتشرة  
الآن بين اكثر السوريين في مصر .

وبالاجمال يقال ان سياسة السوريين المخلصين في كل مكان  
فيهم منها بجلاء ووضوح انهم يطلبون سورية أصح حرية ويتمنون  
مساعدة أكثر الدول خلواً من الاغراض الخصوصية ، ولا عبء بما يقال  
، عن « تفرق الكلمة » ، على ان سياستنا الاهلية تستوجب السعي  
الحثيث من قبل رجالنا المفكرين العاملين للوصول الى الغاية  
الوطنية النبيلة .

لا افتخر الامن لا يضام      مدرك او محارب لا ينام  
ليس عزماً ما مرض المرء فيه      ليس هماً ما عاق عنه الظلام  
المتنبى



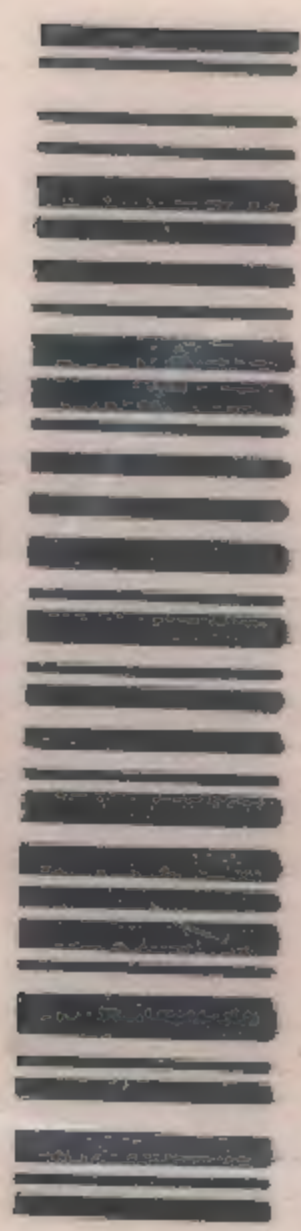




Rare.  
56.91  
03



Bibliotheca Alexandrina



0482937